

الجمعية العلمية للبتروك

الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ فِي الْقِرْآنِ الْمَجِيدِ

المحاضرة التي ألقاها بدار الجمعية

الأستاذ

حسن كامل المطاوى

وكيل وزارة الخزانة السابق

في يوم الثلاثاء ١٧ من المحرم ١٣٩٨هـ الموافق ١٧ من ديسمبر ١٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم
الصحابة الكرام فى القرآن المجيد

أيها المستمعون الكرام :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فإنى أحمد اليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وأصلى وأسلم على ما جاءنا
بالهدى ودين الحق سيدنا ومولانا محمد سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله
عليه وعليهم وعلى آلهم أجمعين ، وبعد :

فإنى أرى لزاماً على أن أشكر الجمعية التعاونية للبتروى فى شخص
الأخ الحبيب الأستاذ أحمد غنيم عضو مجلس إدارتها ، إذ تفضل ودعانى
لأن أحاضركم الليلة فى مناسبة احتفال الجمعية برأس السنة الهجرية الجديدة ١٣٩٨ . وقد
استحسنت أن يكون موضوع المحاضرة : ((الصحابة الكرام فى القرآن المجيد)) لأن سادتنا
المهاجرين هاجروا فى سبيل الله اعتزازاً بدينهم ، وهو دين الإسلام ، وآوهم فى دار الهجرة
سادتنا الأنصار . وكان للهجرة أثرها البالغ فى عزة الإسلام بانتصار
المسلمين على أعداء الدين ، ولذلك اختاروا الهجرة بداية للتاريخ الإسلامى

فى عهد أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وفى ذلك
اعتزاز بأثرها وتخليد لشأنها . ورضى الله عن ساداتنا المهاجرين
والأنصار الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ، وكانوا بصحبتهم لمولانا
رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم خير القرون فى الأمة المحمدية التى شرفها سبحانه
وتعالى بقوله الكريم : (كنتم خير أمة أخرجت للناس)^(١).
واسأل الله فى هذا المقام أن يجعل العام الهجرى الجديد عام السلام
لمصرنا العزيزة وشقيقاتها ، كما يسعى لذلك جاهداً رئيسنا المؤمن السيد /
محمد أنور السادات ، كلل الله مسعاه بالنجاح ، أنه تعالى نعم المولى
ونعم النصير امين .

تعريف الصحابة :

المعروف من طريقة أهل الحديث أن كل مسلم رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو من أصحابه ، حيث قال الإمام البخارى فى صحيحه: ((من
صحب النبى صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه)) .
لكنهم رووا عن سعيد بن المسيب - وهو أفضل التابعين الذين أدركوا
الصحابة - أنه لا يعد صحابياً إلا من أقام مع رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين .

(١) آية ١١٠ من سورة آل عمران .

شرف الصحابة :

ولا شك أن صاحب يشرف بشرف مصحوبه ، وليس فى البشرية
 ، لا بل ليس فى النبيين ولا فى المرسلين الكرام أشرف من مولانا
 رسول الله . فهو أعظم الرسل شأنًا وأعمهم رسالة - صلى الله عليه وعليهم أجمعين - وقد
 صار سادتنا الصحابة بصحبتهم له خير القرون فى الأمة
 ، وهى خير أمة أخرجت للناس ؛ ثم تعدى شرفهم إلى سادتنا
 التابعين الذين أدركوهم ، فنالوا المرتبة الثانية . ونال سادتنا تابعو
 التابعين الذين أدركوا التابعين المرتبة الثالثة . ويشهد لذلك قوله صلوات
 الله وسلامه عليه : ((خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين
 يلونهم)) .

تفاضل الصحابة :

ومع أن كل الصحابة الكرام نالوا شرف الصحبة ، إلا أنهم يتفاضلون
 فيما بينهم فى درجات ذلك . فنال السابقون الأولون منهم أشرف
 الصحبة بصفة خاصة ، ومن ثم كانوا أفضل الصحابة وأفضل الأمة على
 الإطلاق . والسابقون الأولون متفاضلون كذلك فيما بينهم ، وسيأتيكم
 الكلام عن تفاضلهم فيما يلى .

السابقون الأولون :

وقد خلد القرآن الكريم السابقين الأولين بفضلهم وشرفهم ، فقال تعالى فى سورة التوبة : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) (١). وجاء فى تفسير الإمام القرطبي رضى الله عنه : ((هم الذين صلوا إلى القبلتين)) ومعروف أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس بعد فرض الصلاة ستة عشر شهراً ؛ ثم أمر الله قبل غزوة بدر بشهرين أن يصلى إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمه . وكانت رغبته صلى الله عليه وسلم فحققها الله تعالى بقوله الكريم فى سورة البقرة (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) (٢) . وفى قول أصحاب الشافعى : ((هم الذين شهدوا بيعة الرضوان)) وهى بيعة الحديبية ؛ وقال الشافعى : وكانت فى السنة السادسة من الهجرة . وعن محمد بن كعب وعطاء بن يسار : ((هم اهل بدر)) . واتفقوا على أن من هاجر قبل تحويل القبلة فهو من السابقين الأولين من غير خلاف بينهم .

(١) آية ١٠٠ من سورة التوبة .

(٢) آية ١٤٤ من سورة البقرة .

الصحابة فى الكتب السابقة :

وكما نال الصحابة الكرام شرف الثناء عليهم فى القرآن الكريم ؛
فأنهم نالوا مثل هذا الشرف فى التوراة والإنجيل قبل أن يخلقوا .
ويدلنا على ذلك قوله تعالى فى سورة الفتح (محمد رسول الله والذين معه
أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله
ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة
ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره قاستغلف فاستوى على
سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا) (١) . فانظروا كيف جمعوا بوصفهم
هذا بين التراحم فيما بينهم والشدة على أهل الكفر الذين هم أعداء الله .
وكيف ازدادوا فى عددهم بعد قلة . وكيف نشطوا فى عبادتهم فأكثروا
من الصلاة التى ناجوا فيها ربهم وسبحوه فى الركوع والسجود لأنها
أفضل الأعمال الصالحة بعد التوحيد وهم أفضل العابدين فى الأمة المحمدية رضوان الله
عليهم اجمعين .

جهاد الصحابة بالنفس والمال :

ولم يقف جهاد ساداتنا الصحابة عند العبادة بل بذلوا النفس والنفس
فى مرضاة الله تعالى ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً وسجل لهم سبحانه ذلك

(١) آية ٢٩ من سورى الفتح .

فى كتابه الخالد فى آيات كثيرة كقوله تعالى فى سورة التوبة : (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون * أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدون فيها ، ذلك الفوز العظيم) (١) . وكيف لا يجاهد ساداتنا أصحابه بالنفوس والمال ومولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان قائدهم والمثل الأعلى لهم فى الجهاد فلم يرغبوا بأفسهم عن نفسه ، والقرآن الكريم رباهم وربى كل المسلمين على الجهاد بالنفوس والمال . فقال تعالى مثلاً فى سورة النساء (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً * درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً) (٢) . وقال تعالى فى سورة آل عمران (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (٣) . وقال تعالى فى سورة البقرة : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يلقى يلقى الرسول والذين آمنوا

(١) آية ٨٨ ، ٨٩ من سورة التوبة .

(٢) آية ٩٥ ، ٩٦ من سورة النساء .

(٣) آية ١٤٢ من سورة آل عمران .

معهم متى نصر الله ألا أن نصر الله قريب (١) . وقال تعالى فى سورة التوبة (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهدده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (٢) .

وقال كذلك فى سورة التوبة يستنهضهم لقتال الأعداء : (يأيتها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل) (٣) .

والقرآن الكريم ملئء بآيات الجهاد والتضحية الجادة فى مرضاة الله عز وجل ، وصدق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات)) .

وما أروع ما وصفهم به الله تعالى فى إنفاق الأموال مرضاة له سبحانه حين قال فى سورة البقرة : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٤) . قيل

(١) آية ٢١٤ من سورة البقرة .

(٢) آية ١١ من سورة التوبة .

(٣) آية ٣٨ من سورة التوبة .

(٤) آية ٢٧٤ من سورة البقرة .

فى تفسيرها : إنها نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار ، عشرة بالليل ، وعشرة بالنهار ، وعشرة بالسر ، وعشرة بالعلانية . وقيل : فى مولانا الإمام على كرم الله وجهه ، حبث تصدق بأربعة دراهم لم يكن يملك غيرها ، فتصدق بدرهم ليلا ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سراً ، وبدرهم علانية .

ويقول العلماء : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فقد جهز سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه جيش العسرة فى غزوة تبوك بألف بغير وما حملته من الزاد . وأعطى كل مقاتل فى الجيش ديناراً من ذهب ، ثم قدم لمولانا رسول الله صلى الله عليه ألف دينار من ذهب . فأخذ صلى الله عليه وسلم يقبلها بين يديه ويقول : ((اللهم اغفر لعثمان)) .

وكذلك تبرع سيدنا عمر رضى الله عنه بنصف ماله وقال لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا نصف مالى أقدمه لله ، وأبقيت النصف لى ولعيالى .

ولم يقف السخاء عند أغنياء الصحابة الكرام ، بل كان فقراؤهم يجودون بما يستطيعون إرضاء لله تعالى . وكان المنافقون يسخرون منهم فكرم سبحانه أولئك الفقراء ، وندد بالمنافقين الساخرين منهم . فقال تعالى فى سورة التوبة : (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله

علام الغيوب * الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم (١).
وقد جاء فى تفسير الإمام البيضاوى أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة ، فجاء سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بأربعة آلاف درهم وقال : كان لى ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالى أربعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت)) ، فبارك الله له حتى صولحت إحدى امرأتيه عن نصف الثمن بثمانين ألف درهم .

وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر ، وجاء أبو عقيل الأنصارى رضى الله عنه بصاع تمر ، فقال : بت ليلتى أجر بالجرير على صاعين ، فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع . فأمره مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات ، فلمزهم المنافقون وقالوا : ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء ، ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع ؛ أبى عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات ؛ فنزلت (والذين لا يجدون إلا جهدهم) أى لإطاعتهم . وفى تنديد الله بالمنافقين الساخرين رفعة شأن ذلك الصحابى الفقير الذى جاد بنصف أجره حيث

(١) آية ٧٨ ، ٧٩ من سورة التوبة .

برأه الله مما اتهموه به باطلا ، وقد توعدهم الله بالعذاب الأليم من تلك السخرية .

جهاد الصحابة فى العبادة :

وكما جاهد ساداتنا الصحابة بأموالهم فى الخيرات وبأنفسهم فى الحروب فقد جاهدوا أنفسهم بالعبادات المفروضة وزادوا عليها النوافل ، تأسيأ بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتشهد لهم بذلك آيات القرآن الكريم كقوله تعالى فى سورة السجدة : (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وهم لا يستكبرون * تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرآءة أعين جزاء بما كانوا يعملون * أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون) (١) .

وتدلنا هذه الآيات على قوة همتهم حيث كانوا يستيقظون من نومهم ويبتعدون عن فراشهم ، ويقبلون على التنقل بالصلاة فى جوف الليل والناس نيام ، خوفاً من عقاب الله ، وطمعاً فى ثوابه . أ ما قولة تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرآءة أعين جزاء بما كانوا يعملون) فيفسره الحديث القدسى الشريف الذى يقول فيه جل جلاله : ((أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر)) .

(١) الآيات ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ من سورة السجدة

عدل الله وفضله :

وإذا كان سادتنا المفسرون يقولون فى قوله تعالى : (يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) أى خوفاً من عقابه وطمعاً فى ثوابه ؛ فإن سادتنا الصوفية يقولون فيها : خوفاً من عدله وطمعاً فى فضله . وإنما حملهم على قولهم هذا أن المؤمن لا يستطيع أن يوفى ربه الأعلى حقه بعمله الصالح مهما اجتهد فيه . وربما كان سندهم فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ((سبحانك لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك)) . وإذا كان صلى الله عليه وسلم يرى أنه لم يبلغ فى عبادته ما يستحقه الله شكراً على نعمائه فكيف بغيره من المؤمنين . وربما كان سندهم قوله صلى الله عليه وسلم : ((لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ، قيل : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته)) .

وهذا الحديث الأخير يشدنا إلى قوله تعالى فى سورة الزمر : (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب) (١) وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء رضى الله عنه : إنها نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقال ابن عمر رضى الله

(١) آية ٩ من سورة الزمر .

عنهما : إنها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقال مقاتل رضي الله عنه : إنها نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه .

وأياً ما كان فإن الآية الكريمة أثبتت لساداتنا الصحابة الكرام همتهم في قيام الليل ، لأن القنوت هو القيام ، وقيل : طول القيام . وقد قاموا وأطالوا القيام آناء الليل ، أي في أوله وأوسطه وآخره ، حسبما تيسر لهم ، أداء لطاعته تعالى ، وأتناساً بمناجاته في الصلاة . وكيف لا يأتسون في الصلاة وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((. . . وجعلت قرعة عيني في الصلاة)) والصلاة سميت صلاة لأنها صلة بين العبد وربه . وقد جعلها الله تعالى متنفساً للمؤمنين من ضيق الصدور ، ونأخذ ذلك من قوله تعالى في سورة الحجر مخاطباً مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (١) . ومعنى (وكن من الساجدين) أي من المصلين ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، لينفس بها عن ضيق صدره كما علمه الله ؛ وكان أصحابه الكرام يقلدونه في ذلك . فقد مات أخ لسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقام إلى الصلاة فصلى ركعتين ، فلما سأله في ذلك قال : إن الله تعالى يقول : (واستعينوا بالصبر والصلاه) (٢) وقد استعنت بالصبر وضممت إليه

(١) الآيات ٩٧، ٩٨، ٩٩ من سورة الحجر .

(٢) آية ٤٥ من سورة البقرة .

الصلاة . فانظر كيف استعان على تحمل البلاء بالصلاة لفقهه وفهمه لكتاب الله .

ونلاحظ أنهم مع قيامهم الليل والناس نيام كانوا يخافون ربهم من فوقهم ويخشون أن يعاملهم بعدله فيأخذهم بسيئاتهم أو تقصيرهم ، فجمعوا إلى هذا الخوف الأمل الكبير فى رحمته الواسعة وفضله الكبير الذى وعد الله بهما أهل طاعته من المؤمنين فى مثل قوله تعالى فى سورة النساء : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدوقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) (١) .

وقد روى أن ثوبان - رضى الله عنه - وكان مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه ؛ فسأله عن حاله . فقال : ما بى من وجع غير أنى إذا لم أرك أشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخره فخفت ألا أراك هناك ، لأنى عرفت أنك ترفع مع النبيين ، وإن أدخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك ، وإن لم أدخل فذاك حين لأراك أبداً ، فأنزل الله تعالى قوله الكريم المتقدم .

أقول وقد علمنا سبحانه بذلك أن أهل الطاعة يعاملهم الله بفضله،

(١) آية ٦٩ ، ٧٠ من سورة النساء .

وهو فضل واسع المدى ، ولا يعلم مداه سواه . فنسأله تعالى أن يعاملنا بفضله ، لأنه لو عاملنا بعدله لا ستنفدت نعمة واحدة من نعمه كل ما قدمناه من حسنات وما استوفت حقها منها . ويقول في ذلك سيدي وشيخي الشيخ علي عقل فيما نقلناه من إلهامه الفوري رضى الله عنه :

لو بأعمالنا تكافأ ضعنا إنما عفوه وحسن عطاه
 من ينادى الكريم عجزاً وذلاً قد أجاب الكريم فضلاً نداه
 إن علمتم أن الإله كريم أتراه يرد من ناداه
 رب رفقاً بمن أتاك . ضعيفاً حاملاً ثقله كثير أذاه
 أنا بأك ولست يوماً بشاك كيف أشكو والقلب حل حماه
 قيل فاخر بأى أصل تراه قلت فخرى بأننى أهواه

شرف الانتساب الى الله تعالى :

وقد شرف الله عباده الصالحين ، وفي مقدمتهم ساداتنا الصحابه الكرام فنسبهم إليه تعالى بالعبودية الحقه فقال تعالى فى سورة الفرقان (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً * والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً * إنها ساءت مستقراً ومقاماً * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك

قواماً * والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً * إلامن تاب و آمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً * ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً * والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً * والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين وأجعلنا للمتقين إماماً * أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً * خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً (١) . فانظروا كيف أضافهم سبحانه إليه في قوله الكريم (وعباد الرحمن) فشرفهم بالانتساب إليه ، كما شرف البيت الحرام في قوله تعالى في سورة البقره (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن تطهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) (٢) وكما شرف سبحانه ناقة سيدنا صالح في سورة الشمس بقوله تعالى (فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها) (٣) .

والأوصاف التي وصف سبحانه بها عباد حمن كشف عن آدابهم

(١) الآيات من ٦٣ الى ٧٦ من سورة الفرقان .

(٢) آية ١٢٥ من سورة البقرة .

(٣) آية ١٣ من سورة الشمس .

الإجتماعيه العالیه بین الناس وعن أعمالهم الصالحه التي قربتهم إلى الله زلفى ؛ كما كشف عن عنايتهم بمن هم فى كفالتهم من الزوجات والبنين والبنات لأن الرجل راع فى بيته ومسئول عن رعيته ؛ وكذلك كشفت الآيات عن حبهم لأهل التقوى من المؤمنين . فقد سألوا الله تعالى الصلاح لذوى الأرحام وغيرهم من أهل الإيمان . وسألوا الله أن يجعلهم أئمة لأهل التقوى ليعاونهم على البر والتقوى ، علما وعملا . ومن علامات الخير أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن يكره له ما يكره لها . ومن ذاق حلاوة الإيمان أحب أن يذوقها مثله كل مؤمن ، وذلك من التراحم الذى وصف سبحانه به سادتنا الصحابه الكرام بقوله تعالى :

(أشداء على الكفار رحماء بينهم) .

وفى مناسبة قوله تعالى فى الأوصاف السابقة (وإذا مروا باللغو مروا كراما) أقول : إنه جاء فى تفسيرها أى مروا عرضا بغير قصد ، فلما سمعوه ورأوه كلاماً قبيحاً لا ينفع فى أمر الدين أو الدنيا أعرضوا عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه . وقد قرأت فى تفسير الأمام ابن كثير رضى الله عنه أن سيدنا عبد الله بن مسعود الصحابى الجليل رضى الله عنه مر بلهو فلم يقف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريماً)) .

وكما شرف الله عباده الصالحين بقوله السابق (وعباد الرحمن) فقد

شرفهم مرة أخرى فى سورة الإنسان بقوله تعالى (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً * عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) فما هم فى الآية الأخيرة ((عباد الله)) وصفهم عز شأنه بأوصاف حميدة أخرى هى (يوفون بالندى ويخافون يوماً كان شره مستطيراً * ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً * إنا نخاف من ربنا مما عبوساً قمطيراً * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً) . ثم بين ما أعد لهم فى الآخرة ، فقال تعالى بعد ذلك : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً * متكئين فيها على الأرائك لا يئس فيها شمساً ولا زمهريراً * ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً * ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً * قواريراً من فضة قدروها تقديراً * ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً * عيناً فيها تسمى سلسبيلاً * ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً * وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً * عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً * إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً) (١).

ولنتأمل فى تلك الأوصاف الحميدة لنرى كيف وصفهم سبحانه بالجدود

(١) الآيات من ٥ إلى ٢٢ من سورة الإنسان .

والسقاء عن إخلاص لا رياء فيه ، بل هو فى مرضاة الله عز وجل لا يريدون به من الناس جزاء ولا شكوراً ، وإنما يرجون به ثواب الله ورحمته يوم القيامة الذى يأتى بأهواله وينزعج فيه الكافرون والفاسقون وقد سكن الله خوفهم بقوله الكريم : (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً * وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً . . .) وقد جاء فى تفسير الإمام الجمل رضى الله عنه أن آية (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً) نزلت - كما قال عطاء رضى الله عنه - فى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وذلك أنه أجز نفسه ليلة ليسقى نخلا يشىء من شعيرحتى أصبح وقبض الشعير وطحنوا ثلثه فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الحريرة ، فلما تم نضجه اتى مسكين فاخرجوا اليه الطعام ؛ ثم صنعوا الثلث الثانى ، فلما تم نضجه أتى يتيم فأطعموه ؛ ثم صنعوا الثلث الثالث فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه ، وطووا يومهم ذلك ، فأنزل الله هذه الآيات .

ومعنى (. . على حبه) أى على حب الطعام ، ويصح أن يعود الضمير على الله فيكون المعنى على حب الله ، أى لوجهه وابتغاء مرضاته . والمعنى الأول أمدح لأن فيه الإيثار على النفس ، والطعام محبوب للأغنياء والفقراء . وخص المسكين واليتيم والأسير بالإيثار بالذكر ، لأن المسكين لا يملك

ما يكفيه ، و اليتيم فقد كفيله الساعى على عيشه و هو عاجز عن الكسب
بنفسه لصفه ، و الأسير عاجز لا يملك حولاً ولا حيلة .

ويقول المغفور له فيلسوف البكستان العظيم السيد / محمد إقبال طيب الله ثراه فى إيثار
إمامنا على كرم الله وجهه ، فيما ترجمه عنه إلى العربية صديقى العلامة الشيخ الصاوى
شعلان مد الله فى عمره :

ولزوج فاطمة بسورة هل أتى تاج يفوق الشمس عند ضحاها

مشيراً إلى قوله تعالى : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً
وأسيراً) .

كما يشيد بسيدتنا الزهراء رضى الله عنها فى واقعة أخرى ، فقال
فى القصيدة ذاتها :

فمها يردد آى ربك بينما يدها تدير على الشعير رجاها
لما شكا المحتاج خلف رجاها رقت لتلك النفس فى شكواها
جادت لتنقذه برهن خمارها يا سحب أين فداك من جدواها !?
الصحابة الكرام فى إيثار الله تعالى :

وقد أثبت القرآن الكريم لساداتنا الصحابة الكرام أنهم آثروا الله
تعالى على ما سواه ، فهجروا ديارهم وأموالهم وأهليهم ابتغاء مرضاته
عز وجل ، فقال تعالى مادحاً ساداتنا المهاجرين فى سورة الحشر:

(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا
من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) (١) .
كما مدحهم سبحانه في سورة المجادلة بقوله الكريم :

(لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب
في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله
ألا إن حزب الله هم المفلحون) (٢) .

وقد جاء في تفسير الإمام الجمل رضى الله عنه عن ابن مسعود رضى
الله عنه قال : (ولو كانوا آباءهم) يعنى أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه
قتل أباه عبد الله بن الجراح ، (أو أبناءهم) يعنى أبابكر الصديق دعا
ابنه يوم بدر للمبارزة وقال : يا رسول الله ، دعنى أكن فى الرعدة الأولى ،
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((متعنا بنفسك يا أبا بكر)) ،
(أو إخوانهم) يعنى مصعب بن عمير ، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد ،
(أو عشيرتهم) يعنى عمر بن الخطاب ، قتل خاله العاصى بن هشام بن
المغيرة يوم بدر . وعلى بن أبى طالب ، وحمزة ، وأبا عبيدة ، قتلوا
بن عمهم عتبة ، وشيبة ابنى ربيعة ، والوليد ابن عتبة يوم بدر .

(١) آية ٨ من سورة الحشر .
(٢) آية ٢٢ من سورة المجادلة .

ولم يقف إيثار الله تعالى على ما سواه عند الرجال من الصحابة ، بل كان كذلك عند النساء ، ويدلنا على ذلك قوله تعالى فى سورة الممتحنة : (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ، الله أعلم بإيمانهم ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ، لهن حل لهم ولا هم يحلون لهن) (١) .

وقد جاء فى تفسير الجلالين رضى الله عنهما : أى إذا جاءكم المؤمنات بألسنتهن مهاجرات من الكفار بعد صلح الحديبية فامتحنوهن بالحلف أنهن ما خرجن إلا رغبة فى الإسلام ، لا بغضاً لأزواجهن الكفار ، ولا عشقاً لرجال من المسلمين ، كذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفهن .

وكذلك أثار سيداتنا أمهات المؤمنين : الله ورسوله والدار الآخرة حين نزلت آيات الله الكريمة فى سورة الأحزاب :

(يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً) (٢) .

(١) آية ١٠ من سورة الممتحنة .

(٢) آية ٢٨ ، ٢٩ من سورة الاحزاب .

وقد جاء فى تفسير الإمام الجمل رضى الله عنه : وفى القرطبى روى البخارى ومسلم ، واللفظ لمسلم : عن جابر بن عبد الله قال : دخل أبو بكر ليستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم . قال : فأذن لأبى بكر فدخل ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل ، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالساً واجماً ساكتاً وحوله نساؤه . قال عمر : فقلت والله لأقولن شيئاً أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله : لو رأيت بنت خارجة ((زوجة عمر)) سألتنى النفقة فقمتم إليها فوجأت عنقها ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ((هن حولى كما ترى يسألننى النفقة)) . فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله ما ليس عنده ؟ فقلن : والله لا نسأل رسول الله شيئاً أبداً ما ليس عنده ، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين ، ثم نزلت هذه الآية : (يا أيها النبي قل لأزواجك ...) حتى بلغ (للمحسنات منكن أجراً عظيماً) قال : فبدأ بعائشة ، فقال : يا عائشة ، إنى أريد أن أعرض عليك أمراً أحب ألا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك . قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية ، قالت : أفيك يا رسول الله استشير أبوى ؟ بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة . وقد جرى بقية أزواجه على منوالها .

أقول : وجاء فى تفسير الإمامين الجلالين رضى الله عنهما : ((أمتعن)) أى متعة الطلاق ، ((وأسرحكن سراحا جميلا)) أى أطلقكن من غير ضرار ، ((وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة)) أى الجنة ، ((فإن الله أعد للمحسنات منكن)) بإرادة الجنة ((أجراً عظيماً)) أى الجنة فاخترن الآخرة على الدنيا .

وجاء فى الحاشية للإمام أبى السعود رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى : ((تردن الله ورسوله)) أى : تردن رسوله وذكر الله للايدان بجلالة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنده تعالى .

وجاء فى حاشية الإمام الجمل رضى الله عنه عن الإمام الخازن رضى الله عنه : فلما اخترنه صلى الله عليه وسلم قصره الله تعالى عليهن وحرم عليه نكاح غيرهن فقال تعالى : (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شىء رقيبا) (١) .

وجاء فى معنى ((من بعد)) أى بعد نسائك اللاتى اخترنك وفى معنى ((إلا ما ملكت يمينك)) أى من الإمام فتحل لك . فما وقد ملك النبى صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية وولدت له فى ذى الحجة سنة

(١) آية ٥٢ من سورة الاحزاب .

ثمان من الهجرة ابنه إبراهيم عليهما السلام ومات فى حياة أبيه وله سبعون يوماً ، وقيل : سنة وعشرة أشهر .

أقول : ولا عجب أن نرى أمهاتنا أزواج رسول الله - صلاوات الله وسلامه عليه - ذلك الرشيد الذى بدأ منهن فى اختيار مولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والاستمسك به والرضا بعيشة الكفاف التى عاشها وارتضاها لنفسه تطيباً لقلوب الفقراء من المؤمنين والمؤمنات ، وهم الغالبية العظمى ، وتعلماً للأغنياء الموسرين حتى لا يفتنهم زخرف الدنيا الفانى فيقفون عنده و لا يلتفتون لأخراهم . ولا يخفانا أن الله تعالى عرض على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحول له جبال مكة ذهباً ، فقال صلى الله عليه وسلم فى زهده وعزوفه عن زخرف الدنيا الفانى : ((لا يارب ، أجوع يوماً وأشبع يوماً ، أجوع فأذكرك وأشبع فأحمدك)) ، وعند ذلك قال سيدنا جبريل عليه السلام : ثبتك الله بالقول الثابت يا محمد .

كما لا يخفانا أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتفى من فناء أمواله التى خصه الله بها بقوته وقوت آل بيته ، وينفق فى سبيل الله ما زاد على ذلك القوت الضرورى ، بالغلة ما بلغت تلك الاموال ، بل كان يزيد عليها عند الاقتضاء جزءاً مما جعله لقوته وقوت آل بيته عطفاً على البؤساء والفقراء .

ولا يفوتنا أنه ترك أمواله صدقة ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ماتركناه صدقة)) .

ولنرى كيف كان يرضى بعيشة الكفاف ننظر فيما حكته أمنا عائشة رضى الله عنها حين قالت : كنا نرى الهلال والهلال والهلال ولا نوقد ناراً . أى كانوا لا يطبخون شيئاً فى مدى شهرين متتابعين ، ولما سألوها : وماذا كنتم تأكلون ؟ قالت : كنا نعيش على الأسودين - أى التمر والماء - ويرضى الله عن سيدى الشيخ يوسف النبهانسإ ذى يخاطب سادتنا آل البيت الكرام بقوله فى همزيتة :

شَاء أن تكونوا كما كان يعيش هو الكفاف والكفاء
لو أراد الغنى لانبثت الأرض نضارا وأمطرتها السماء فتأسوا
بسادة سبقوكم فارقوها ومنية النفس ماء
وهو يشير فى البيت الأخير إلى موت مولانا الإمام الحسين ظمآنأ
فى معركة كربلاء المشؤومة . ويقول متحسراً على ذلك الظمأ صديقى
العلامة الشيخ الصاوى شعلان مد الله فى عمره :

أروى عطاش البرايا فيض نائله ما للحسين قضى ظمآن مغتربا
لعله ترك العذب الفرات لكى يسقى بكوثر طه منهلا عذبا
والحر إن لم يرق بالعز مشربه لو جئته برحيق الشهد ما شربا

إلأن قال عفا الله عنه :

كان الحسين لنا من جده مثلاً والفرع للأصل مرآة فلا عجا

فضل امهات المؤمنين :

وإذا أردنا أن نقف على ما تحلت به سيداتنا أمهات المؤمنين من المكارم فلنقرأ ما جاء عن فضلهن ومنزلتهن العليا فى سورة الأحزاب ، فقد خاطبهن الله تعالى بقوله الكريم :

(يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما * يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا * وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا * واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً) (١) .

وجاء فى حاشية الإمام الجمل عن الإمام الكرخى رضى الله عنهما :
وخص الله تعالى نساء النبى صلى الله عليه وسلم بتضعيف العقوبة على الذنب والمثوبة على الطاعة . أما الأول فلأنهن يشاهدن من الزواجر الرادعة

(١) الآيات من ٣٠ الى ٣٤ من سورة الاحزاب .

عن الذنوب ما لا يشاهده غيرهن ، ولأن معصيتهن إيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذنوب من آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من ذنوب غيره . وأما الثانى فلأنهن أشرف من سائر النساء لقريهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت الطاعة منهن أشرف ، كما أن المعصية منهن أقبح .

وبقول سيدي الإمام القشيري فى لطائف إشارات رضى الله عنه : زيادة العقوبة على الجرم من إمارات الفضيلة ، ولذا فضل حد الأحرار على العبيد ، وتقليل ذلك من إمارات النقص .

وفى مناسبة الآية الأخيرة ((وانكرن ما يتلى فى بيوتكن . . .)) يقول الإمام أبو السعود فى تفسيره رضى الله عنه : وهذا تذكير بما أنعم الله به عليهن حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي وشاهدين من حال الوحي ما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة ، وأضاف رضى الله عنه : وعدم تعيين التالى لتعم التلاوة تلاوة جبريل وتلاوة النبى وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعليما وتعلما .

وقد جاء فى سورة الأحزاب بعد الآيات السابقة قوله تعالى : (إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين

والمصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً (١) . وفى حاشية الإمام الجمل رضى الله عنه : أن تلك الآية الكريمة نزلت حين قال أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ذكر الرجال فى القرآن ولم يذكر النساء بخير ، فما فىنا خير نذكر به ؟ ، إنا نخاف ألا تقبل منا طاعة ، فأنزل الله تعالى الآية .

وقيل : إن السيدة أم سلمة رضى الله عنها قالت : يارسول الله ما بال ربنا يذكر الرجال فى كتابه ولا يذكر النساء ، فنخشى ألا يكون فيهن خير .

أقول : وذلك يكشف لنا عن طهارة نفوسهن وصدق طويتهن وقوة حبهن لله عز وجل . وإنى آخذ من الآية الكريمة إشارة بل وعبارة أنهن جمع كل تلك المحاسن والصفات الجميلة التى عدتها الآية وبلغن القمة بذكرهن الله تعالى ذكراً كثيراً ، ليلاً ونهاراً ، سرّاً وجهاراً ، سفراً وحضراً ، قياماً وقعوداً وعلى الجنب . وما أنهاهن بما ختمت به الآية من المغفرة والأجر العظيم . وما أنهاهن غيرهن بذلك من الرجال والنساء ممن تحلوا بتلك الصفات الزكية التى يرتضيها الله تعالى ويثيب عليها الصالحين والصالحات يوم يقوم الناس لرب العالمين . وما أنها

(١) آية ٣٥ من سورة الاحزاب .

سيداتنا أمهات المؤمنين كذلك بقوله تعالى فى سورة النور : (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) (١) .

صدق الأقوال والأفعال والأحوال :

وفى مناسبة ما قاله تعالى فى الآية الكريمة : ((إن المسلمين والمسلمات . . .)) وأثنى به الصادقين والصادقات ، أقول : إن القرآن الكريم أثبت لساداتنا الصحابه الكرام الصدق فى الأقوال والأفعال والأحوال ، فقد قال تعالى فى سورة الأحزاب :

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا * ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيمًا) (٢) .
وقد جاء فى تفسير الإمام البيضاوى رضى الله عنه فى معنى ((صدقوا ما عاهدوا الله عليه)) أى من الثبات مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقاتلة لإعلاء الدين ، فإن المعاهد إذا أوفى بعهده فقد صدق فيه .
وفى معنى ((فمنهم من قضى نحبه)) أى نذره بأن قاتل حتى استشهد ، كحمزة ، ومصعب بن عمير)) وأنس بن النضر رضى الله عنهم ، والنحب

(١) آية ٢٦ من سورة النور .

(٢) آية ٢٣ ، ٢٤ من سورة الاحزاب .

النذر واستعير للموت . وفى معنى ((ومنهم من ينتظر)) أى الشهادة
 كعثمان ، وظلحة رضى الله عنهما ، وفى معنى ((وما بدلوا تبديلاً)) أى
 وما بدلوا العهد ولا غيره ، وروى أن ظلحة ثبت مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده ، فقال عليه الصلاة والسلام :
 ((أوجب ظلحة)) - أى أوجب الجنة - وفيه تعريض بالمنافقين
 ومرضى القلب بالتبديل .

وأثبت الله تعالى إخلاص القلوب لسادتنا الصحابة الذين بايعهم مولانا رسول الله عليه وسلم
 علناً يقاتلوا قريشاً ولا يفروا . وكانت البيعة فى الحديبية وتحت الشجرة وفى السنة السادسة
 من الهجرة ، وكانوا نحو ألف وخمسمائة ، وكشف سبحانه عن إخلاصهم بقوله تعالى فى
 سورة الفتح :

(لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم
 فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً * ومغانم كثيرة يأخذونها
 وكان الله عزيزاً حكيماً) (١) .

وقد كان سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه فى مكة المكرمة حيث
 أوفده مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفاوض أهل مكة الذين
 منعوا المسلمين من أداء العمرة . فوضع مولانا رسول الله صلى الله عليه

(١) آية ١٨ ، ١٩ من سورة الفتح .

وسلم يده اليسرى على يده اليمنى مع أيدي الصحابة المبايعين تحت الشجرة وقال صلى الله عليه وسلم : وهذه يد عثمان ، يسر اي خير من يمين عثمان . فما أهنأ سيدنا عثمان بهذا الشرف حيث مثله مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة فى تلك البيعة المباركة .

ولا شك أن ساداتنا الصحابة الكرام قد استكملوا الإيمان بصدقهم وإخلاصهم فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ، وصاروا بذلك فى طليعة الأتقياء الأوفياء ، ويدلنا على ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة :

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) (١) .

وقد خاض اليهود حين حول الله تعالى القبلة فى الصلاة فجعلها إلى الكعبة المشرفة بعد أن كانت إلى بيت المقدس نحو سنة ونصف ؛ فأنزل الله الآية الكريمة السابقة مبيناً أن البر ليس هو التوجه للشرق أو الغرب كما يفعل المسيحيون أو اليهود من أهل الكتاب ، ولكن البر ما بينه الله

(١) آية ١٧٧ من سورة البقرة .

واتبعه المؤمنون . وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان)) .

ويقول الإمام البيضاوى رضى الله عنه فى تفسيره : إن الآية كما نرى جامعة للكلمات الإنسانية بأسرها ، دالة عليها صريحاً أو ضمناً ؛ فإنها بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلاثة أشياء : صحة الاعتقاد ، وحسن المعاشرة ، وتهذيب النفس .

أقول وقد استوفى سادتنا الصحابة كل هذه الصفات على أحسن وجه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى تقديره لهم والغيره عليهم : ((الله الله فى أصحابى ، فلو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)) . كما قال صلوات الله وسلامه عليه : ((خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)) .

ولا عجب أن يكون سادتنا الصحابة خير القرون ، فقد عاشروا عشرة مباشرة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذوا بأقواله وأفعاله فى حب له وتأس به ، وقد قال تعالى فى سورة الأحزاب :

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) (١) .

(١) آية ٢١ من سورة الأحزاب .

وقال تعالى فى سورة الجمعة :

(هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (١) .

وإذا أردت أن تعرف كيف رباهم وزكاهم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر كيف حولهم من رعاة غنم إلى ساسة أمم ، فكان منهم الخلفاء الراشدون سادتنا أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، وكان منهم قادة الجيوش الظافرين أمثال سادتنا : سعد بن أبى وقاص ، وخالد بن الوليد ، وأبى عبيدة بن الجراح ، وزيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة .

وكان منهم أئمة الفقهاء أمثال سادتنا : على بن أبى طالب وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، ومعاذ بن جبل ، وعبد الله بن مسعود . ورواه الحديث أمثال : سيدنا أبى هريرة ، وأمنا عائشة رضى الله عنهما .

وكان منهم أبطال الحروب وسادة الشهداء أمثال سادتنا : حمزة بن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير ، والحسين بن على .

(١) الآيات ٢ ، ٣ ، ٤ من سورة الجمعة .

وكان منهم الأغنياء الأسخياء أمثال سادتنا : إبي بكر الصديق ،
وعثمان بن عفان ، والزيير بن العوام ، رضى الله عنهم وعن سائر سادتنا الصحابة
أجمعين .

محبة الله تعالى لسادتنا الصحابة :

ومحبة الله تعالى لسادتنا الصحابة ثابتة فى كتابه الكريم ، إذ يقول
تعالى فى سورة المائدة :

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم
يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل
الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع
عليم * إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة
ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا
فإن حزب الله هم الغالبون) (١) .

وقد توافرت فى سادتنا الصحابة كل الصفات الزكية التى وصف بها الله
من يحبهم ويحبونه ، فكانوا أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ،
وأثبت ذلك لهم فى سورة الفتح كما سبق القول . وجاهدوا فى سبيل
الله ولم يخافوا لومة لائم وأثبت الله لهم جهادهم بالنفس والمال كما سمعتم

(١) الآيات ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ من سورة المائدة .

من قبل . وأقاموا الصلاة وأثنى عليهم بإقامتها سبحانه بقوله الكريم :
(تراهم ركعاً سجداً) كما مر عليك .

وما أشرفهم وأسعدهم وأهنأهم بقوله تعالى : (فإن حزب الله هم
المفلحون) فمن والى غيرهم من أعداء الله فقد والى حزب الشيطان وعادى
حزب الرحمن ، وفى ذلك خسران وأى خسران ، وشقاء وأى شقاء .
وأما من أحب ساداتنا الصحابة فقد أحبهم بالله وفى الله ، والتحق
بركهم بفضل الله . فقد جاء رجل للنبي صلى الله عليه وسلم وقال له :
يا رسول الله ، متى الساعة ؟ فقال له : ((ما أعددت لها ؟)) فقال : ما أعددت لها
كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكنى أحب الله ورسوله ، فقال له صلوات الله وسلامه عليه :
(أنت مع من أحببت)) .

وتعقيباً على قوله صلى الله عليه وسلم يقول خادمه سيدنا أنس بن مالك
رضى الله عنه : فما فرحنا بشئ بعد الإسلام مثل فرحنا بقوله صلى الله عليه
وسلم : ((أنت مع من أحببت)) لأنى أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر .
وكذلك سأل رجل مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله ، الرجل يحب
القوم ولما يلحق بهم ، فقال له صلوات الله وسلامه عليه : ((أنت مع أحببت ولذلك يقول
القائم

والمرء مع من أحب يحشر

وقد كفانى أنى محب

وقال آخر :

عز كلب بحب أصحاب كهف

كيف أشقى بحب آل النبي

ارتداد بعض العرب عن الإسلام :

وجاء فى تفسير الإمام البيضاوى رضى الله عنه عند الآيات السابقة أنه ارتد بالفعل بعض العرب فى أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كبنى حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب الذى تنبأ وكتب إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد ، فإن الأرض نصفها لى ونصفها لك . فأجابه صلى الله عليه وسلم : ((من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)) . وقد حاربه أبو بكر رضى الله عنه بجند من المسلمين وقتله وحشى ((قاتل سيدنا حمزة)) ، وقد قال بعد أن أسلم : قتلت بسيفى هذا سيد الشهداء فلاقتن به مسيلمة الكذاب ، فقتله .

المحبوبون المحبون :

أما قوله تعالى : (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه . . .) فقبيل : هم أهل اليمن لما روى أنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى أبى موسى الأشعري وقال : ((هم قوم هذا)) ، وقيل : الفرس لأنه عليه

الصلاة والسلام سئل عنهم ، فضرب يده على عاتق سلمان وقال : ((هذا وذووه)) .
وقيل : الذين جاهدوا يوم القادسية .

أقول : ويستفاد من قوله تعالى : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) أنه تعالى يحب أهل الإيمان جميعاً ، سواء منهم السابقون الذين ثبتوا على إيمانهم ولم يرتدوا ، أو الذين اعتنقوا الإيمان من اللاحقين إلى يوم القيامة . وذلك من فضل الله علينا وعلى سائر المؤمنين ، فهي بشرى من الله سبحانه لكل مؤمن ومؤمنة . وعلينا أن نشكره تعالى بعجزنا عن شكره لسبق عنايته بنا ، وحسن تدبيره وتقديره لنا ، فقد قال عز شأنه : (يحبهم ويحبونه) فسبقت محبته لنا محبتنا له !!

ولا عجب فهو سبحانه قديم الإحسان ، كما أنه تعالى رحيم ودود .
سبق جوده أعمالنا ، وأين كان منا العمل حين كتب لنا تعالى الإيمان ؟
وصدق سبحانه إذ يقول في سورة الحجرات :

(يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم
أن هذا كم للإيمان إن كنتم صادقين) (١) .

وإذ يقول في السورة ذاتها : (. . . ولكن الله حبيب إليكم الإيمان
وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم
الراشدون . فضلا من الله ونعمة والله عليكم حكيم) (٢) .

(١) الآية ١٧ من سورة الحجرات .

(٢) الآية ٧ ، ٨ من سورة الحجرات .

وما أسعد المؤمنين بقوله الكريم : (أولئك هم الراشدون) وما أعظم منة الله عليهم بقوله الخالد : (فضلا من الله ونعمة) .
 وفى هذا المقام يحلو لى أن أدعو الله تعالى لى ولكم ولسائر المسلمين فى المشارق والمغارب بما يدعو به الراسخون فى العلم كما نقل لنا سبحانه عنهم فى سورة آل عمران فأقول : (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) (١) .

محبة الصحابة لبعضهم :

وأحب سادتنا الصحابة بعضهم البعض حباً خالصاً ، وتحابوا فيما بينهم على غير أرحام بينهم ؛ بل قامت محبتهم بالله ولله وفى الله . وأثبت سبحانه ذلك لهم فى قوله عز وجل : (رحماء بينهم) فرحم غنيهم فقيرهم وقويهم ضعيفهم ، وعالمهم جاهلهم ، وحاكمهم محكومهم ، وحاضرهم غائبهم ، وصحيحهم مريضهم .
 وتقوية لروح المحبة بين المؤمنين آخى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوة خاصة بين المهاجرين والأنصار ، فكان يقول : فلان المهاجر أخو فلان الأنصارى . فهى أخوة خاصة مضافة إلى أخوة الإسلام العامة ، كما أنه سبحانه قوى بينهم رابطة الرحم والصدقة فى الله بقوله الكريم فى سورة النور :

(١) الآية ٨ من سورة آل عمران .

(ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) (١) .

وقد جاء فى تفسير الإمام أبى السعود رضى الله عنه : قيل : إن هؤلاء الطوائف الثلاثة - أى الأعمى والأعرج والمريض - كانوا يتخرجون من مؤاكلة الأصحاب حذراً من استقذارهم إياهم وخوفاً من تأذيتهم بأفعالهم ومضايقتهم ، فإن الأعمى ربما سبقت يده إلى أطيب الطعام فسبق البصير إليه .

والأعرج يتفصح فى مجلسه فيأخذ مكاناً واسعاً فيضيق على السليم . والمريض لا يخلوا من حالة مؤذية لقرينه وجليسه ، فنزلت الآية . أقول : فما أعظم هذه التربية الاجتماعية ، فقد جمعت فأوعت . ففيها إزالة الحرج عن أصحاب العلل وتكريم لهم من رب العزة الذى قضى فى شأنهم ما قضى لحكمة يعلمها . وفيها توجيهه إلى الترابط الودى بين

(١) الآية ٦١ من سورة النور .

ذوى القربى من الآباء و الأبناء والأعمام والعمات والأخوال والخالات .
 وفيها إزالة التكلف بين الأصدقاء المتوادين فى الله تعالى من أهل
 الإيمان ، وإعزازاً من الله تعالى لتلك الصداقة ، فقد علمنا أن ننزل
 الصداق منزلة الخواص من الأقرباء وإن لم تكن بين الأصدقاء رابطة
 الرحم .

ويذكرنى ذلك بقول القائل الحكيم :

ولقد بلوت الناس ثم خبرتهم ووصلت ما قطعوا من الأسباب
 فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً وإذا المودة أقرب الأنساب
 وكان سيدى الحسن البصرى رضى الله عنه يقول : كم من أخ لك
 لم تلده أمك . ولذلك قيل : القرابة تحتاج إلى مودة ، والمودة لا تحتاج
 إلى قرابة .

هذا ويكشف لنا عن قوة المودة التى قامت فى الله تعالى بين ساداتنا
 الصحابه الكرام ، قول سيدنا عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، حين مات
 سيدنا أبو بكر رضى الله عنه :

ذهب الذين أحبهم فعليك يادنيا السلام
 إنى رضيع وصالهم والطفل يؤلمه الفطام
 كما يكشفه لنا قول سيدنا عمر رضى الله عنه فى تزكية سيدنا على بن

أبى طالب كرم الله وجهه ، فقد قال : لولا على لهلك عمر ، كما قال :
لا أبقانى الله فى بلد لست بها يا أبا الحسن .

وقد سئل سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : ما علمك إلى علم ابن عمك ((يقصدون الإمام علياً كرم الله وجهه)) ؟ فقال : كقطرة إلى جانب البحر المحيط ، لقد أعطى على بن أبى طالب تسعة أعشار العلم ، وايم الله لقد شارككم فى العشر العاشر . ونكتفى بهذه الأمثلة ، اكتفاء بالقليل عن الكثير .

أدب الصحابة مع مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

مدح الله تعالى ساداتنا الصحابة الكرام - رضى الله عنهم - بحسن أدبهم مع مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى مثلاً فى سورة النور :

(إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون * ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويثقه فأولئك هم الفائزون) (١) .

فما أسعدهم بهذا الفلاح وبهذا الفوز ، وقد نالوها بطاعته صلى الله عليه وسلم . وما أعظم شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (إذا دعوا إلى الله ورسوله) وبقوله تعالى : (ومن يطع الله ورسوله)

(١) الآية ٥١ ، ٥٢ من سورة النور .

فإنما هم دعوا إلى رسول الله ليحكم بينهم ، وأطاعوا رسول الله .
 وفي عطف الرسول على الله تشریف لرسوله وأى تشریف . وكيف لا يطيع الصحابة الكرام
 مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى
 النور : (وإن تطيعوه تهتدوا) (١) .

كما قال سبحانه فى النساء : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (٢) .
 وقال كذلك فى سورة النور : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره
 أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (٣) .

وأثنى سبحانه على ساداتنا الصحابة بخفض الصوت فى مخاطبة رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، فقال فى سورة الحجرات :
 (إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن
 الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم) (٤) .

وجاء فى حاشية الإمام الجمل رضى الله عنه : قال أبو هريرة وابن
 عباس : لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إلا كأخى السرار (٥) .

(١) الآية ٥٤ من سورة النور .

(٢) الآية ٨٠ من سورة النساء .

(٣) الآية ٦٣ من سورة النور .

(٤) الآية ٣ من سورة الحجرات .

(٥) همسا

وقال ابن الزبير : لما نزلت هذه الآية ما حَدَّثَ عمر النبي صلى الله عليه وسلم فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته . ومعنى يعضون أصواتهم عند رسول الله أى يحفظوها إجلالا وتعظيما له صلى الله عليه وسلم .

وحق لساداتنا الصحابة أن يعضوا أصواتهم عنده صلى الله عليه وسلم لأن رفع الصوت فى حضرته صلى الله عليه وسلم قد يؤدى إلى الكفر إذا قصد به رفع الصوت الإهانة وعدم المبالاة ، ودليل ذلك واضح فى سورة الحجرات فى قوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)^(١) .

وقد ندد الله بمن يراعوا الأدب فى حقه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى فى سورة الحجرات :

(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم)^(٢) .
وقد نزلت هذه الآية فى أعراب من جفاة بنى تميم . قدم وفد منهم

(١) الآية ٢ من سورة الحجرات .

(٢) الآية ٤ ، ٥ من سورة الحجرات .

على النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا المسجد ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات - وكان بيت النبي صلى الله عليه وسلم ملاصقاً للمسجد ، وكانوا لا يعلمون الحجرة التي هو فيها - اخرج إلينا يا محمد ، فإن مدحنا زين وذنمنا شين ، وكانوا سبعين رجلاً قدموا لفداء ذراريهم المأسورين ، وكان ذلك وقت القيلولة التي يستريح فيها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم :

وكيف لا يتأدب السادة الصحابة باسمى أدب مع مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال تعالى فى سورة الأحزاب فى بيان منزلته الرفيعة من المؤمنين :

(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)^(١).
ويقول الإمام أبو السعود فى تفسيرها : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم : أى فى كل أمر من أمور الدين والدنيا ، كما يشهد به الإطلاق ، فيجب عليهم أن يكون عليه الصلاة والسلام أحب إليهم من أنفسهم ، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها ، وحقه أثر لديهم من حقوقها ، وشفقتهم عليه أسبق من شفقتهم عليها . روى أنه عليه الصلاة والسلام

(١) الآية ٦ من سورة الاحزاب .

أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج ، فقال أنس : نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت (وأزواجه أمهاتهم) أى منزلات منزله الامهات فى التحريم واستحقاق التعظيم ، أما فيما عدا ذلك فهن كالأجنبيات .
أقول : ويؤيد سبحانه وتعالى أولوية مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الكريم فى سورة الأحزاب :

(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم من يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً)^(١) . ويقول الإمام أبو السعود رضى الله عنه فى تفسيرها : أى ما صح واستقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين والمؤمنات (إذا قضى الله ورسوله أمراً) أى إذا قضى رسول الله . وذكر الله لتعظيم أمره عليه الصلاة والسلام أو لالشعار بأن قضاءه عليه الصلاة والسلام قضاء الله عز وجل ؛ لأنه نزل فى زينب بنت جحش - بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب - خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأبت هى وأخوها عبد الله . وقيل : فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وهبت نفسها للنبي عليه الصلاة والسلام فزوجها من زيد فسخطت هى وأخوها وقالوا : إنما أردنا رسول الله فزوجنا عبده . (أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) أى أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا ، بل يجب عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً

(١) الآية ٣٦ من سورة الاحزاب .

لرأيه عليه الصلاة والسلام واختيارهم تلوا لاختياره . (ومن يعص الله ورسوله) فى أمر من الأمور ويعمل فيه برأيه (فقد ضل) طريق الحق (ضللاً مبيناً) أى شديد الانحراف عن سنين الصواب .

ويشيد الله تعالى بالمؤمنين الذين يصونون حرمة عليه الصلاة والسلام فيقول سبحانه فى سورة النور :

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم) (١).

ومما قال الإمام أبو السعود فى تفسيرها : أى إنما الكاملون فى الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم وأطاعوهما فى جميع الأحكام ، كما إذا كانوا معه عليه الصلاة والسلام على أمر مهم يجب اجتماعهم فى شأنه كالجمعة والأعياد والحروب وغيرها من الأمور الداعية إلى اجتماع أولى الآراء والتجارب (لم يذهبوا) أى من المجمع (حتى يستأذنوه) عليه الصلاة والسلام فى الذهاب ، لأن الغاية هى الإذن المنوط برأيه عليه الصلاة والسلام . فإن ذلك الاستئذان يميز المؤمن من المنافق الذى يتسلل للفرار . وفى ذلك الاستئذان تعظيماً لجنايئة الذهاب بغير إذنه

(١) الآية ٦٢ من سورة النور .

عليه الصلاة والسلام) إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) .

وفى ذلك من تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى (فإذا استأذنونك) بيان لأن الإذن مفوض إلى رأيه عليه الصلاة والسلام (لبعض شأنهم) أى لبعض شأنهم المهم وأمرهم الملم (واستغفر لهم الله) فإن الاستئذان وإن كان لعذر قوى لا يخلو من شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة (إن الله غفور) مبالغ فى غفران فرطات العباد (رحيم) مبالغ فى إفاضة آثار الرحمة عليهم .

ملازمة الصحابة فى الحرب للنبي صلى الله عليه وسلم :

ولما كان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقد وجب على المؤمنين ألا يتخلفوا عنه فى الحرب وألا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه . وكيف يتخلفون وقد قال تعالى فى سورة التوبة : (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يظنون موطناً يغيب الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين) (١) .

(١) الآية ١٢٠ من سورة التوبة .

وقد جاء فى تفسير الإمام البيضاوى رضى الله عنه أن الصحابى الجليل أبا خيثمة رضى الله عنه بلغ بستانه وكانت له زوجة حسناء فرشت له فى الظل ، وبسطت له الحصير ، وقربت إليه الرطب والماء البارد . فنظر فقال : ظل ظليل ، ورطب يانع ، وماء بارد ، وامرأة حسناء ، ورسول الله فى الضح والريح ما هذا بخير . فقام الرجل فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح . فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب ، فقال صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ، فكانه ، ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له . والضح بكسر الضاد وتشديد الحاء الشمس . ويزهاه السراب أى يظهره فى شكل حسن . فانظروا كيف كانوا يتدبرون القرآن الكريم ويتعظون به ويسجبيون له ، ألا رضى الله عنهم أجمعين .

لزوم التفقه فى الدين :

وقد جاء فى تفسير الإمام أبى السعود رضى الله عنه أن المؤمنين لما سمعوا ما نزل فى المتخلفين سارعوا إلى النفير رغبة ورهبة ، وانقطعوا عن التفقه ، فنزل قوله تعالى فى سورة التوبة :

(وما كان المؤمنين لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)^(١)

(١) الآية ١٢٢ من سورة التوبة .

فأمرُوا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد ويبقى بعضهم يتفقهون حتى لا ينقطع الفقه الذى هو الجهاد الأكبر لأن الجدل بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة . وجاء فى تفسير الإمام البيضاوى رضى الله عنه (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) أى وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهاة إرشاد القوم وانذارهم ، وتخصيصه بالذكر لأنه أهم ، وفيه دليل على أنه التفقه والتذكير من فروض الكفاية .

إعتزاز الصحابة بالله ورسوله :

جاء فى تفسير الإمام ابن كثير رضى الله عنه أن الإمام أحمد بن حنبل روى بسنده عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : ((خرجت مع عمى فى غزاة فسمعت عبد الله بن أبى سلول يقول لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعمى ، فذكره عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته فأرسل إلى عبد الله ابن أبى بن سلول و أصحابه فحلفوا بالله ما قالوا ، فكذبنى رسول الله صلى الله عليه و سلم و صدقه ، فأصابنى هم لم يصبنى مثله قط و جلست فى البيت فقال عمى : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك ، قال حتى أنزل الله (إذا جاءك المنافقون) قال : فبعث إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن الله قد صدقك ((.

وجاء في تفسير الإمام أبي السعود عند قوله تعالى في سورة ((المنافقون)) (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) (١) روى أن عبد الله بن أبي لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان مخلصا وقال : لئن لم تقر لله ورسوله بالعزة لأضربن عنقك ، فلما رأى منه الجد قال : أشهد أن العزة لله ورسوله وللمؤمنين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للابن ((جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا)) أقول: فما أسعد الابن وما أشقى أباه ، وصدق سبحانه إذ يقول في سورة القلم :

(إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون) (٢) .

الصحابه و صلاة الجماعة فى المساجد :

وقد مدح الله سبحانه وتعالى ساداتنا الصحابة الكرام فى حرصهم على صلاة الجماعة فى المسجد فقال تعالى فى سورة النور .

(١) الآية ٨ من سورة المنافقون .

(٢) الآيات ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ من سورة القلم .

(فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) (١)

فأثبت سبحانه لهم حرصهم الشديد على صلاة الجماعة فى المساجد لأداء الفرائض جميعها . وقد قال أهل التفسير إن الصلاة التى تؤدى بالغداة هى صلاة الفجر ، التى تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشائين ((أى المغرب والعشاء)) لأن اسم الأصيل يقع على هذا الوقت كله . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : التسبيح بالغدو صلاة الضحا . وأخرج أبو داود بسنده عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المحرم ، ومن خرج إلى المسجد إلى تسبيح الضحا لا يقصد إلا ذلك كان أجره كأجر المعتمر ، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين)) . أقول : وإذا تأملنا فى قوله تعالى (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) نرى أنه أثبت لهم كسب عيشهم من طريق الشراء والبيع ولم يكونوا عالة على الناس ولكنهم مع بيعهم وشرائهم لا يضيعون بالبيع والشراء على أنفسهم أجر الصلاة جماعة فى المساجد .

(١) الآيات ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ من سورة النور .

وقد روى سالم عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان فى السوق فاقامت الصلاة فقام الناس و أغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد ، فقال ابن عمر رضى الله عنه : فيهم نزلت هذه الآية (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة) .

الصحابة وزكاة الأموال :

وكما أنهم لم يتلهوا با لبيع والشراء عن أداء الصلاة فإنهم لم يبخلوا بإيتاء الزكاة أداء لحق الفقراء الذى فرضه الله ؛ بل جمعوا بين الحرص على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ؛ ومع بذل الجهد فى الصلوات والنفقات فإنهم كانوا يخافون العاقبة يوم القيامة . وهو ما يفيد أنهم استقلوا عملهم الصالح فى جنب الله سبحانه ورأوا أنهم ما عبدوه حق عبادته وما قابلوا إحسانه بما هو أهله بل كان جهدهم جهد المقلين . فطمأنهم جل وعلا على عاقبتهم ووعدهم بمزيد الثواب والفضل بغير عد ولاحد .
وقد ورد فى الحديث القدسى عن رب العزة ((أعادت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)) .

استخلاف الصحابة فى الأرض :

وقد كافأ الله تعالى ساداتنا الصحابة فى دنياهم باستخلافهم فى الأرض وبتمكين دينهم مصداقا لقوله سبحانه فى سورة النور :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) (١) .

وقد حقق الله وعده الكريم فاستخلفهم بعد انتقال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وملكهم بلاد العرب والعجم وفتح لهم المشارق والمغارب ومكن للإسلام وأظهره على سائر الأديان رغم أنف الأعداء وصارت كلمة الله العليا والله الحمد والمنة .

ويعقب الإمام أبو السعود على قوله تعالى : (وليمكنن لهم دينهم) فيقول رضى الله عنه : وفى إضافة الدين إليهم وهو دين الإسلام ثم وصفه بإرتضائه (الذى ارتضى لهم) تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه . ويعقب رضى الله عنه على قوله تعالى : (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) فيقول : حيث كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل أكثر خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسسون كذلك حتى قال رجل منهم : ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ((لا تعبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى المأ العظيم محتبياً ليس معه حديدة)) . فأنزل

(١) الآية ٥٥ من سورة النور .

الله عز وجل هذه الآية وأنجز وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا إلى حال يخافهم كل من عداهم . وفيه من الدلالة على صحة النبوة للإخبار بالغيب على ما هو عليه وقبل وقوعه ما لا يخفى ، وقيل المراد الخوف من العذاب والأمن منه في الآخرة .

ويعقب سيدي الإمام القشيري على الآية الكريمة المتقدمة فيقول في لطائف إشارات رضى الله عنه : وعد الله حق ، وكلامه صدق ، والآية تدل على صحة الخلفاء الأربعة لأنه - بالإجماع - لم يتقدمهم في الفضيلة إلى يومنا أحد . فأولئك مقطوع بأمامتهم ، وصدق وعد الله فيهم ، وهم على الدين المرضى من قبل الله ؛ ولقد أمنوا بعد خوفهم ، وقاموا بسياسة المسلمين والذب ^(١) عن حوزة الإسلام أحسن قيام . وهو تعقيب قوى وروائع كما ترون .

الصحابة في رعاية الله ورسوله :

سعد الصحابة الكرام برعاية الله ورسوله فكانوا بفضل الله خير القرون ونالوا شرف الصدارة في الأمة المحمدية كما كانوا أذكى الأتباع وكيف لا وهم السابقون بالخيرات بإذن الله ، وتدلنا آيات كثيرة من

(١) الدفاع .

كتاب الله الكريم على تلك الرعاية كقوله تعالى مثلاً فى سورة آل عمران .

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (١) .

ويقول الإمام البيضاوى رضى الله عنه فى تفسيرها : أنعم على من آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه ، وتخصيصهم مع أن نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم (إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) من نسيبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والأمانة مفتخرين به (يتلو عليه آياته) أى القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي (ويزكيهم) يظهرهم من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والأعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أى القرآن والسنة (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) أى وإن حالهم أنهم كانوا من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم فى ضلال ظاهر . أقول وفى هذه المناسبة أذكر أن سيدنا العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتأذن لى يا رسول الله أن أمدحك ، فأذن له فقال رضى الله عنه :

(١) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران .

وأنت لما ولدت أشرقت
فنحن فى ذلك الضياء وفى
الأرض وضاءت بنورك الأفق
النور وسبل الرشاد نخترق

وكيف لا يستضيئون بنوره صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى لأهل
الكتاب فى سورة المائدة :

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين *
يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى
النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) (١).

وقد ورد فى تفسير قوله تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين) يريد بالنور رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالكتاب المبين
القرآن الكريم . ولا غرابة فى أن يراد بالنور مولانا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقد خاطبه ربه فى سورة الأحزاب (يا أيها النبى إنا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) (٢) .
وقد جاء فى تفسير الإمام البيضاوى رضى الله عنه : (شاهدا) على
من بعثت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم (ومبشرا
ونذيرا وداعيا إلى الله) إلى الإقرار به وتوحيده وما يجب الإيمان به

(١) الآية ١٥ ، ١٦ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٤٥ ، ٤٦ من سورة الأحزاب .

من صفاته (بإذنه) بتيسيره ، وقيد به الدعوة إيذانا بأنه أمر صعب لايتأتى إلا بمعونة من جانب قدسه (وسراجا منيرا) يستضاء به عن ظلمات الجهالات ويقتبس من نوره أنوار البصائر .

ويدلنا كذلك على رعاية الله ورسوله لساداتنا الصحابة قوله تعالى فى سورة التوبة .

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (١) .

أى من جنسكم عربى مثلكم (عزيز عليه) يشق عليه (ما عنتم) أى عنتم ولقواكم المكروه (حريص عليكم) أى على إيمانكم وصلاح شأنتكم (بالمؤمنين رؤوف رحيم) أى بالمؤمنين منكم ومن غيركم ، رؤوف بالعاصين رحيم بالطائعين .

ومن آثار رأفته صلى الله عليه وسلم أنه حين نزل عليه قوله تعالى فى سورة الضحا (ولسوف يعطيك ربك فترضى) (٢) .

قال فى رأفته صلى الله عليه وسلم : إذن لا أرضى وواحد من أمتى فى النار ؛ ألا صلوات الله وسلامه عليه أبد الأبدى . وذلك ما يشير إليه الشاعر فى قوله :

(١) الآية ١٢٨ من سورة التوبة .

(٢) الآية ٥ من سورة الضحا .

قرأنا في الضحا ولسوف يعطى
وحاشا يا رسول الله ترضى
فسر قلوبنا هذا العطاء
وفينا من يعذب أو يساء

الصحابة أغنياء القلوب :

ولنتأمل في عناية الله تعالى بفقراء الصحابة الكرام وقد نزل
شأنهم قوله تعالى في سورة الأنعام .

(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون
من الظالمين) (١) .

وقد جاء في تفسير الإمام البيضاوي رضى الله عنه أن أغنياء قریش
قالوا : لو طردت هؤلاء الأعبد (يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب
وسلمان) جلسنا إليك وحادثناك فقال صلى الله عليه وسلم : ما أنا بطارد المؤمنين
، قالوا : فأقمهم عنا إذا جئناك ، قال نعم فنزلت الآية ، والمراد بذكر الغداة
والعشي الدوام .

وقال تعالى في وصيته بهؤلاء الفقراء في جيوبهم والأغنياء في قلوبهم
في سورة الكهف .

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون

(١) الآية ٥٢ من سورة الانعام .

وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً (١) .

ويقول الإمام البيضاوى فى تفسيره رضى الله عنه : والمراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يزدري بفقراء المؤمنين وتعلوا عينه عن رثاثة زيهم طموحا إلى طراوة زى الأغنياء (تريد زينة الحياة الدنيا) (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) غافلا عن ذكرنا كأمية بن خلف فى دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش ، وفيه تنبيه على أن الداعى له إلى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه فى المحبوسات حتى خفى عليه أن الشرف بجلية النفس لا بزينة الجسد (وكان أمره فرطاً) أى تقدا على الحق ونبذا له وراء ظهره .

وجاء فى تفسير الإمام الجمل رضى الله عنه : هذه الآية أبلغ من التى فى الأنعام لأنه فى آية الأنعام نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن طردهم ، وفى هذه الآية أمره بمجالستهم والمصابرة معهم .

وجاء فى حاشية الإمام الجمل عن تفسير الخازن : نزلت هذه الآية فى أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء كانوا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يخرجون إلى تجارة ولا زرع ولا ضرع ، يصلون

(١) الآية ٢٨ من سورة الكهف .

صلاة وينتظرون أخرى . فلما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم :
 ((الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم)) .
 أقول : ومما قرأته عن ساداتنا أهل الصفة أنهم كانوا يجتمعون
 فى المكان المعروف خلف بيوت النبى صلى الله عليه وسلم والذى يطلق
 عليه الآن مصطبة الأغوات . وكانوا غير متزوجين ؛ فأووا إلى
 هذا المكان ، وأوى غيرهم من المهاجرين إلى دور الأنصار من أهل
 المدينة . وكان عدد أهل الصفة يزيد وينقص ، وكانوا يستغرقون أوقاتهم
 ليلاً فى تعليم القرآن ونهاراً فى جهاد الأعداء حيث يخرجون مع السرايا
 المقاتلة ، وكان نقيبهم سيدنا أبو هريرة رضى الله عنه . وكان مولانا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصى بهم الأنصار ، فكان بعض الأنصار
 يدعوا منهم عشرة للطعام ، وبعضهم يدعوا أكثر من العشرة . وكان
 سيدنا سعد بن عبادة رئيس الخزرج يدعو لظعامه سبعين منهم . وكان
 مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يطعمهم أمر سيدنا
 أبا هريرة أن يدعوهم إلى بيته صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يطعمهم أمر سيدنا
 الصفة متعفين لا يسألون الناس شيئاً .
 وقد أوصى الله تعالى الأغنياء بالعطف على فقراء الصحابة المتعفين
 عن سؤال الناس ، فقال سبحانه فى سورة البقرة :

(وما تنفقوا من خير فلاأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون * للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) (١) .

وجاء فى تفسير الإمامين الجلالين رضى الله عنهما : (احصروا) أى حبسوا أنفسهم على الجهاد . نزلت فى أهل الصفة وهم أربعائة من المهاجرين أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا (لا يستطيعون ضرباً فى الأرض) أى للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد (يحسبهم الجاهل) أى بحالهم ، (أغنياء من التعفف) أى لتعففهم عن السؤال وتركه (تعرفهم) أى يا مخاطب (بسيماهم) أى علامتهم من التواضع وأثر الجهد (لا يسألون الناس إلحافاً) أى لا سؤال لهم أصلاً ، فلا يقع منهم إلحاف : أى إلحاح (وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) أى فيجازيكم عليه .

سعادة الصحابة بالعطف النبوى :

وانظروا معى كيف سعد الصحابة الكرام بعطف مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حين تولوا عن قتال أعدائهم فى غزوة أحد

(١) الأيتان ٢٧٢ ، ٢٧٣ من سورة البقرة .

مخالفين بذلك أمره عليه الصلاة والسلام ، وهم المشار إليهم فى قوله تعالى
فى سورة آل عمران :

(إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض
ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حلیم) (١) .

ولم يبق معه فى ساحة القتال إلا اثنا عشر رجلاً فلم يهزموا ، وقد أثبت
الله العطف النبوى على أولئك المخالفين بقوله الكريم فى سورة آل عمران :
(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من
حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل
على الله إن الله يحب المتوكلين) (٢) .

أى إنك تحملت بصبر مخالفتهم لك ولم تعنفهم على ما وقع منهم
فى مخالفتك ؛ ولو لم تكن ليناً كريم الخلق بل كنت سىء الخلق وعنيفاً
فأغلظت لهم القول لتفرقوا من حولك . ثم أوصاه سبحانه أولاً بالعفو
عنهم فيما يتعلق بخاصة نفسه عليه الصلاة والسلام ، فإذا انتهوا إلى هذا
المقام أمره الله أن يستغفر لهم ما بينهم وبين الله تعالى لتنزاح عنهم
التبعات . فلما صاروا إلى ذلك أمره ربه أن يشاورهم فى الأمر لأنهم
خلصوا من التبعتين مع الله ورسوله .

(١) الآية ١٥٥ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

وقالو فى التفاسير : إنما أمره الله تعالى بمشاورتهم فيما لم ينزل به وحى تطيباً لقلوبهم ولتستن به أمته فى الشورى بعده صلى الله عليه وسلم ، لأنه تعالى يعلم أن رسوله صلى الله عليه وسلم ليس به حاجة لرأى غيره . أقول : لأنه صلى الله عليه وسلم أرجح البشر عقلاً وأطهركم قلباً وأعظمهم نوراً وأقواهم صلة بربه ، وكيف لا وقد قال له سبحانه بحق : (إن فضله كان عليك كبيراً) .

سعادة الصحابة بتوبة الله تعالى :

وكذلك سعد التائبون من سادتنا الصحابة بعناية الله تعالى ،
ويدلنا على ذلك قوله تعالى مثلاً فى سورة التوبة :

(وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم * خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم * ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم) (١) .

وقد جاء فى تفسير الإمام ابن كثير رضى الله عنه : نزلت فى الذين تخلفوا عن الجهاد كسلاً وميلاً إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق ، فقال تعالى :

(١) الآيات ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ من سورة التوبة .

(وآخرون اعترفوا بذنوبهم) أى أقروا بها وأعترفوا فيما بينهم وبين ربهم ، ولهم أعمال أخرى صالحة خطوا هذه بتلك هؤلاء تحت عفو الله وغفرانه . وهذه الآية (وآخرون اعترفوا بذنوبهم . . .) وإن كانت نزلت فى أناس معينين إلا أنها عامة فى كل المذنبين المخطئين المتلوثين . وقال ابن عباس : نزلت فى أبى لبابة وجماعة من أصحابه تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فقال بعضهم : أبو لبابة وخمسة معه ، وقيل : وسبعة معه ، وقيل : وتسعة معه . فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ربطوا أنفسهم بسوارى المسجد وحلفوا لا يحلهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما أنزل الله هذه الآية (وآخرون اعترفوا بذنوبهم . . .) أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعفا عنهم .

وقال الإمام البيضاوى رضى الله عنه فى تفسيره : روى أنهم لما أطلقوا قالوا : يا رسول الله ، هذه أموالنا التى خلفتنا نتصدق بها وطهرنا ، فقال : ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً ، فنزلت : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) أى تطهرهم من الذنوب أو من حب المال المؤدى بهم إلى مثلها (وتزكهم) وتنمى بها حسناتهم وترفعهم منازل المخلصين (وصل عليهم) أى اعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم (إن صلاتك سكن لهم) تسكن إليها نفوسهم وتطمئن قلوبهم (والله سميع)

باعترافهم (عليهم) بندامتهم . وقال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى
(إن صلاتك سكن لهم) أى رحمة لهم .

وقد روى الإمام مسلم فى صحيحه - كما جاء فى تفسير الإمام ابن كثير - عن
عبد الله بن أبى أوفى قال : ((كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أتى بصدقة قوم
صلى عليهم ، فأناه أبى بصدقته ، فقال : اللهم صل على آل أبى أوفى)) . وفى
الحديث الآخر أن امرأة قالت : يارسول الله ، صل على وعلى زوجى ، فقال : صلى الله
عليك وعلى زوجك . وروى الإمام أحمد عن ابن الحذيفة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه
وسلم كان إذا دعا الرجل أصابته وأصابته ولده وولده وولد ولده .

أقول : فما أسعد المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أصدق صلوات الله
عليه فى قوله : إنما أنا رحمة مهداة . وصدق سبحانه إذ يقول له (وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين) ولا عجب فهو صلى الله عليه وسلم بابنا إلى الله ، كما يقول سيدى
مصطفى البكرى رضى الله عنه :

باب الله أى امرئ أتاه من غيرك لا يدخل
ورضى الله عن سيدى وشيخى العارف بالله الشيخ على عقل طيب الله
ثراه ، إذ يقول مخاطباً مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إلهامه
الفورى الذى سجلناه استماعاً منه ، وهو يتدفق من عطاء الله تدفق
السيلى المنهمر :

يا حبيبي رضاك دنيا ودين
 إنما أنت مصدر النور من ربي
 يا جميلا مثله من جميل
 حب خير الورى لنفسى
 بل ومنى ومن جميع البرايا
 فهما باتباعكم صحا لى
 وباب الرضا وباب الوصال
 كان للبدر منك فضل الجمال
 من أنيسى وصاحبى وعيالى
 لحماه الحياة أزجى رجالى

صدق سادتنا الصحابة فى توبتهم :

ولم تكن توبة سادتنا الصحابة كتوبتنا ، فإننا نتوب ونعود إلى ما تبنا منه ، بل كانت توبتهم توبة صادقة فى ندم بالغ وإخلاص عميق ، وتلك هى التوبة النصوح التى أمرنا بها سبحانه . يدلنا على صدقهم فى التوبة قوله تعالى فى سورة التوبة :

(لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (١).

وقد جاء فى حاشية الإمام الجمل رضى الله عنه أن ذكر النبى صلى الله

(١) الآيات ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ من سورة التوبة .

عليه وسلم بالتوبة عليه تشریف للمهاجرين والأنصار في ضم توبتهم إلى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول إلى اسم الله في قوله في أن الله خمسه وللرسول فهو تشریف له . وأما معنى توبة الله على المهاجرين والأنصار فمن أجل ما وقع في قلوبهم من الميل إلى القعود عن غزوة تبوك لأنها كانت في وقت حر شديد ، وربما وقع في قلوب بعضهم أننا لا نقدر على قتال الروم ، وكيف لنا بالخلاص منهم ، فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية ، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد التي حصلت لهم في هذا السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لأجل ما تحملوه من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذكرهم تنبيهاً على عظم مراتبهم في الدين وأنهم قد بلغوا إلى الرتبة التي لأجلها ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذكرهم .

وجاء في الحاشية كذلك : وقوله تعالى (الذين اتبعوه) نعت للمهاجرين والأنصار . وقد ذكر بعض العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم سار إلى تبوك في سبعين ألفاً ما بين راكب وماش من المهاجرين والأنصار وغيرهم من القبائل (في ساعة العسرة) أي وقتها . والعسرة هي الشدة والضيق ، وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة ، والجيش الذي سار

يسمى جيش العسرة ، لأنه كان عليهم عسرة فى الظهر والزاد والماء . قال الحسن : كان العشرة منهم يخرجون على البعير الواحد يعتقدونه بينهم ، ويركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك ، وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير ، وكان نفر منهم يخرجون وما معهم إلا التمرات اليسيرة بينهم .

ويحكى الإمام الطبرى رضى الله عنه بسنده عن سيدنا عمر بن الخطاب قوله رضى الله عنه : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك فى قيظ شديد ، فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع ، وحتى إن الرجل ليعقر بغيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده ، وحتى إن الرجل كان يذهب فيلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبتة ستقطع ، فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله ، إن الله عز وجل قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله ، قال : أتحب ذلك ؟ فقال الصديق : نعم ، فرفع يديه صلى الله عليه وسلم ، فلم يرجعا حتى قالت السماء فأظلمت ثم سكبت ، فملأوا ما معهم من الأوعية ، ثم ذهبنا ننظرها فلم نجدها جاوزت العسكر .

أقول : وهى معجزة من المعجزات النبوية الباهرة الوافرة . وقوله تعالى (ثم تاب عليهم) أى بالثبات على المشقة ، وإنما أعاد ذكر التوبة ليكون ذلك أبلغ فى قبولها والتجاوز عن الذنب . وقوله

تعالى (إنه بهم رؤوف رحيم) الرأفة عبارة عن إزالة الضرر ، والرحمة
عن السعى فى إيصال النفع .

أما عن قوله تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا . . .) فلنستمع إلى
ما رواه الإمام البخارى بسنده فى قصتهم عن أحدهم وهو سيدنا كعب
ابن مالك رضى الله عنه فقد قال ، وما أروع ما قال : لم أتخلف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاهما إلا فى غزوة تبوك ؛
وكان من خبرى أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة ، وغزا رسول الله صلى الله
عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وهممت أن أرتحل
فأدركهم ، وليتتى فعلت ، فلم يقدر لى ذلك ، ولم يذكرنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن
مالك ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يارسول الله ، حبسه برداه ونظره فى عطفه ، فقال
معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يارسول الله ، ما علمنا عليه إلاخيراً ، فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

قال كعب بن مالك : فلما بلغنى أنه توجه قافلاً ، حضرنى همى ،
فطفقت أتذكر الكذب وأهئية لأعتذر به وأقول : بماذا أخرج من
سخطه غداً ؟ واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى .

فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم قادماً ، أى قرب

قدومه ، انزاح عنى الباطل ، وعزمت أنى لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب ، فأجمعت الصدق . وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس . فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ؛ فجئته ، فلما سلمت عليه ، تبسم تبسم المغضب ، ثم قال : تعال ، فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت مركوبك ؟ فقلت : بلى ، إنى والله يارسول ، لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً - أى فصاحة - ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ، ليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك صدق تجد - أى تغضب - على فيه ، إنى لأرجو فيه عفو الله . والله ما كان من عذر ، ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك ، فقمتم وقام رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا : والله ، ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المخلفون . قد كان

كافيك من ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، فو الله مزالوا يلوموننى لوماً عنيفاً حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسى.

فقلت لهم : هل لقى هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالاً مثلما قلت ، فقبل لهما مثلما قيل لك ، فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمري ، وهلال بن أمية الواقفى ، فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرالى فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما لى . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجنبنا الناس فتغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الأرض ، فما هى التى أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة .

فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم . وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف فى الأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ؛ فأقول فى نفسى : هل حرك شفثيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فاذا أقبلت على صلاتى أقبل إلى ، فاذا التفت نحوه أعرض عنى . حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة ، وهو ابن عمى وأحب الناس إلى ، فسلمت عليه ، فو الله ما رد على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله هل تعلمنى أحب الله ورسوله ، فسكت ،

فعدت له فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته فسكت ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناي ، وتوليت حتى تسورت الجدار . حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك ، فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلي صاحبي مثل ذلك ، فقلت لامرأتي : ألحقى بأهلك فتكونى عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر .

فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى . رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا . فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكرها الله قد ضاقت على نفسي وضاقت على الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، قال : فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي أعلم الناس - بتوبة الله علينا حين صلاة الفجر . فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبي مبشرون . فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك من الثياب غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبه ، ينولون : لتتهنك توبة الله عليك .

قال كعب : حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره لا أنساها لطلحة . قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، قلت : أمن عندك يا رسول الله أمن من عند الله ؟ قال : لا ، بل من عند الله ، وكان رسول الله إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك عنه . فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله : إن من توبتي أن انخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ، قلت : فإنى أمسك سهمى الذى بخبير . وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار . . . وكونوا مع الصادقين) (١) . فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هدانى للإسلام أعظم فى نفسى من صدقى لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم . أى آخر أمرنا حتى قضى

(١) آية ١١٧ من سورة التوبة .

الله فيه ، فبذلك — أى الإرجاء — قال الله تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا . . .) وليس الذى نكر الله من أجل تخلفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عن حلف له صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه فقبل منه .

حب آل البيت الأطهار والصحابة الكرام :

قال الله تعالى فى سورة الشورى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور)^(١).
 ومن أحسن ما قرأته فى تفسيرها ما قاله الإمام الفخر الرازى ، فقد قال رضى الله عنه :
 ((نقل صاحب الكشاف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها
 ومن مات على حب آل محمد فتح له بابان إلى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات

(١) آية ٢٣ من سورة الشورى .

على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله ، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرأ ، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة)) .

((ثم أضاف الإمام الرازي يقول فى روعة من القول : آل محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين يؤول أمرهم إليه ، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ، ولاشك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد التعلقات ، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل .

وأيضاً اختلف الناس فى الآل ، ف قيل : هم الأقارب ، وقيل : هم أمته . فإن حملناه على القرابة فهم الآل ، وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل ، فثبت أن جميع التقديرات هم الآل . وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل فمختلف فيه .

وروى صاحب الكشاف أنه لما نزلت هذه الآية قيل : يارسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ((على وفاطمة وابناهما)) .

فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبى صلى الله عليه وسلم ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدل عليه وجوه :

الأول : قوله تعالى : (إلا المودة فى القربى) ووجه الاستدلال به ما سبق .

الثانى : لاشك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب فاطمة عليها السلام ، قال صلى الله عليه وسلم : ((فاطمة بضعة منى يرببى ما ربها ويؤذنى ما أذاها)) .

وثبت بالنقل المتواتر عنه صلى الله عليه وسلم أنه يحب علياً والحسن والحسين ، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله لقوله تعالى : (. . .) واتبعوه لعلم تهتدون (^(١)) ، ولقوله تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (^(٢)) ، ولقوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله) (^(٣)) ، ولقوله تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) (^(٤)) .

والثالث : أن الدعاء لآل منصب عظيم ، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهيد فى الصلاة وهو قول المصلى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمد وآل محمد ، وهذا التعظيم لو يوجد فى حق غير الآل . واستطرد رضى الله عنه قائلا : وكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب .

(١) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف .

(٢) آية ٦٣ من سورة النور .

(٣) آية ٣١ من سورة آل عمران .

(٤) آية ٢١ من سورة الأحزاب .

وقال سيدى الإمام الشافعى رضى الله عنه :
يا راكبا قف بالمحصب من منى
واهتف باكن خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى
فضا كما نظم الفرات الفاض
إن كان رفضا حب آل محمد
فليشهد الثقلان أنى رافض

كما قال رضى الله عنه :

يا آل بيت رسول الله حبكمو فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكمو من عظيم القدر أنكمو من لم يصل عليكم لاصلاة له

أقول : وهذا الشطر الثانى من البيت الأخير يشير به سيدى الإمام الشافعى إلى حكم فى مذهبه ببطلان صلاة المصلى الذى لا يضيف الآل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد الأخير . فلو قال : اللهم صلى على محمد ولم يقل وعلى آل محمد كانت صلاته التى أداها باطلة لأنه خالف فى التشهد الصيغة التى علمنا إياها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشملت الآل ، ولا يجوز مخالفته صلى الله عليه وسلم .

ونعود إلى بقية ما قاله الإمام الرازى فى تفسيره حيث يقول رضى الله عنه : وقوله تعالى : (إلا المودة فى القربى) فيه منصب عظيم

للصحابية ، لأنه تعالى قال : (والسابقون السابقون أولئك المقربون) فكل من أطاع الله كان مقربا عند الله فدخل في قوله : (إلا المودة في القربى) . والحاصل أن هذه الآية تدل على وجوب حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب أصحابه ، وهذا المنصب لا يسلم إلا على قول أصحابنا أهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العترة والصحابية (أما مذهب الشيعة فخارج عما ذهب إليه أهل السنة والجماعة) .
أقول وفي مذهب أهل السنة والجماعة يقول سيدي العالم العارف الشيخ أحمد الحلواني الخليجي والد سيدي وشيخي الشيخ عبد السلام الحلواني - رضى الله عنهما :-

ألا إننى فى حب آل محمد من الشيعة العليا ولكننى سننى
طبعتم على حب الصحابة كلهم كآل رسول الله من مبتدأ سننى
ويقول سيدي الإمام الرازي بعد كلامه السابق رضى الله عنه :
((وسمعت بعض المذكورين قال إنه صلى الله عليه وسلم قال : ((مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا)) ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)) ، ونحن الآن فى بحر التكليف وتضربنا الشبهات والشهوات ، وراكب البحر يحتاج إلى أمرين : أحدهما : السفينة الخالية عن العيوب والثقوب .

الثانى : الكواكب الظاهرة والظالعة النيرة . فإذا ركب تلك

السفينة ووقع نظره على تلك الكواكب الظاهرة كان رجاء السلامة غالباً ، فذلك ركب أصحابنا أهل السنة سفينة حب آل محمد ووضعوا أبصارهم على نجوم الصحابة ، فرجوا من الله أن يفوزوا بالسلامة والسعادة فى الدنيا والآخرة . وقوله تعالى : (إلا المودة فى القربى) جعلوا مكانا للمودة ومقراً لها ، كقولك : لى فى آل فلان مودة ، ولى فيهم هوى ، تريد أحبهم وهم مكان حبى ومحلّه . وقوله تعالى : (إن الله غفور شكور) الشكور فى حقه تعالى مجاز ، والمعنى أن الله يحسن للمطيعين فى إيصال الثواب إليهم ، وفى أن يزيد عليه أنواعاً كثيرة من التفضيل . أقول وكلام الإمام الرازى كلام علمى نفيس فاحرصوا على الانتفاع منه والتمسك به ، ومن أراد المزيد من البحث فى هذا الموضوع فليرجع إلى كتابى : ((رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم)) طبعه دار المعارف . أقول : وأود فى هذا المجال أن أقول : إنى قرأت أن حديث السفينة صحيح بطرقه الكثيرة لكن لفظ روايته المشهورة : ((مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)) .

هذا وأود كذلك أن أسمعكم أبياتاً من الشعر الإلهام الغورى الذى نقلناه من سيدى وشيخى الشيخ على عقل - نور الله مرقدّه - والتي قالها حين سأله سائل أن يأتى بأبيات من إلهامه الغورى المرتجل من عطاء الله لأولياء على وزن البيت التالى وقافيته ، وكان سيدى الشيخ على مشتهدا بين الناس بذلك العطاء الكبير ، وذلك البيت هو :

بنفسى أذى الزهر من بضعة الزهرا

وإن هم رضوا نفسى فقد عظمت قدرا

فقال فيما قال توا سيدى الشيخ على وهز به مشاعر الحاضرين ، طيب
الله تراه :

(بنفسى أذى الزهر من بضعة الزهرا)

بهم نلت كل الخير دنيائى والأخرى

لقد غرسونى من زهور رياضهم

فطابت حياتى من مكارمهم زهرا

إذا قيل لى تهواهمو قلت ملكهم

ووقف يمين لايباع ولايشرى

إذا عشيت عينى فطى جوانحى

عيون ترينى سر أنوارهم جهرا

تساموا على كل الأنام فضائلا

وقد بين القرآن أوصافهم طهرا

وعينا من القرآن سورة هل أتى

صفا سعيهم لله واستوجب الشكرا

فلو أن جود العالمين أقيسه

على جودهم يوما لما مثل العشرا

() قال سعيد بن المسبب : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن ، وكان يقول : لولا على لهلك عمر ، رواه ابن أبي خيثمة . وكذلك كان رضى الله عنه يقول عند مسألة على : لا أبقانى الله بعدك يا أبا الحسن . بل نص المناوى فى الشرح الكبير على أن عمر رضى الله عنه لم يول عليا عليه السلام شيئاً من البعوث أيام خلافته احتياجاً إلى علمه وتوفيقاً عليه فى حل المشكلات وفك العضلات . وقد ورد عن أمير المؤمنين عمر من طرق متعددة فى الصحيح وغيره أنه كان يقول : على أقضانا . قال بعض العارفين : وإنما يكون أقضى من كان أعلم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : والله لقد أعطى على بن أبى طالب تسعة أعشار العلم ، وإيم الله لقد شارككم فى العشر العاشر ، رواه ابن عبد البر .

أقول : وقد سئل ابن عباس رضى الله عنهما : ما علمك إلى علم ابن عمك ؟ فقال : كقطرة إلى جانب البحر المحيط ، مع أن ابن عباس كان يقال له بحر العلم وترجمان القرآن ، وصدق سبحانه وتعالى إذ يقول (وفوق كل ذى علم عليم) . وقد كان إمامنا على كرم الله وجهه يضرب على صدره ويقول متحدثاً بنعمة ربه : إن هاهنا لعلماء جما لو أجد له حملته ؛ كما كان يقول : سلونى قبل أن تفقدونى ، ويقول : لو شئت أو قرت سبعين جملاً فى تفسير الفاتحة . وسبحان من يختص برحمته من يشاء .

وقد سعدت فى شبابى أيماء سعادة حين رأيتة كرم الله وجهه فى منامى
فى فطرته النقية وتواضعه الجم ، وبشرنى فى تلك الرؤيا بشرى عظيمة
حيث أخبرنى أن ابنه الإمام الحسين السبط رضى الله عنى يحببى .
وكلما أتذكر الرؤيا أهتز لها وأعتز بها . وكيف لا وقد قال رجل لمولانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، متى الساعة ؟ فقال له :
وما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة
ولكنى أحب الله ورسوله ، فقال له : ((أنت مع من أحببت)) .
ويقول سيدنا أنس بن مالك الصحابى الجليل رضى الله عنه تعقيباً
على قول مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما فرحنا بشئ بعد
الإسلام مثل فرحنا بقوله صلى الله عليه وسلم : ((أنت مع من أحببت))
لأنى أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر . وإذا كان المؤمن مع من أحب
فكيف لا يكون مع من أحبوه ، ومحبتهم له أسمى وأشرف .

((وجاء كذلك فى الكتاب المذكور : قال عمرو بن العاص : قلت
لعبد الله بن عياش بن أبى ربيعة : لم كان صغو الناس إلى على (أى ميلهم
واستماعهم) : قال : يا ابن أختى ، إن عليا كان له ما شئت من ضرر
قاطع فى العلم ، وكان له البسطة فى العشيرة والقدم فى الإسلام ، والصهر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ، والفقه فى السنة ، والنجدة فى الحرب ،
والجود فى الماعون ، نكره ابن عبد البر .

كما جاء فيه أيضا : روى الحاكم فى المستدرک عن الأسود بن يزيد النخعى قال : لما بویع على ابن أبى طالب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال خزيمه بن ثابت (الصحابى الجليل رضى الله عنه ، الذى جعل مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين) وهو واقف بين يدى المنبر :

إذا نحن بايعنا عليا فحسبنا

أبو حسن مما نخاف من الفتن

وجدناه أولى الناس بالناس إنه

أطب^(١) قریش بالكتاب وبالسنن

((وكذلك جاء فى الكتاب المذكور : وقد شهدت له عائشه رضى الله عنها بأنه كان أعلم الناس بالسنن . فقد روى ابن أبى خيثمة عن جابر قال : قالت عائشه : من أفتاكم بصوم عاشوراء ؟ قالوا : على ، قالت : أما إنه أعلم الناس بالسنة . وكانت كثيراً ما ترجع إليه فى المسائل . وذكر ابن عبد البر أن معاوية لما بلغه قتل على رضى الله عنه قال : ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبى طالب .)) وروى أبو نعيم أن الحسن بن على عليهما السلام قام وخطب الناس وقال فى أبيه : لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون ولم يدركه الآخرون بعلم . وقال سعيد بن المسيب : ما كان أحد بعد رسول الله

(١) أطب قریش : أى أعلمهم .

صلى الله عليه وسلم أعلم من على بن أبى طالب . وقال الحسن البصرى ،
وقد سئل عن على عليه السلام : كان على والله سهماً صائباً من مرامى
الله على عدوه ، وربانى هذه الأمة ، وذا فضلها ، وذا سابقتها ، وذا قرابتها ، من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن بالنؤوميه عن أمر الله ،
ولا بالملومة فى دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ، ففاز منه
برياض مونة . ونصوص الصحابة والتابعين بهذا لاتكاد تنحصر . ((وقد صح عنه
صلى الله عليه وسلم من طرق متعددة أنه قال لفاطمة عليها السلام : ((أما ترضين أنى
زوجتك أقدم أمتى سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً)) .
أقول : ومما قاله إمامنا على محدثاً بنعمة ربه عليه :

محمد النبى أخى وصهرى	وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى	يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى	مشوب لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ابنائى منها	فمن منكم له سهم كسهى
سبقتكمو إلى الإسلام طرا	صغيرا ما بلغت أوان حلمى
وصليت الصلاة وكنت فردا	فمن منكم له يوم كيومى

التفاضل بين الصحابة الكرام :

وجاء فى الكتاب المذكور فى التفاضل بين الصحابة الكرام رضى

الله عنهم أجمعين : قال مالك : أدركت جماعة من أهل بلدنا لا يفضلون بين الصحابة ، الكل فضلاء ، والأكثر على التفضيل ، وعليه فأفضل الصحابة أهل الحديبية لآية :

(لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة . . .) (١) .
 قيل : نزلت فى أهل الحديبية . وقيل : أفضلهم أهل بدر ، وأفضل أهل بدر العشرة ، وأفضل العشرة الخلفاء الأربعة ، وهم فى الفضل على ترتيبهم فى الخلافة ، وقيل : بالوقف بين عثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين . وقد فضل مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم السابقين فى الصحابة على من لم ينل منازلهم فقال صلوات الله وسلامه عليه : ((لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ حد أحدهم ولا نصفه)) (٢) .

وهذا من معنى قوله تعالى : (. . . لا يستوى منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الحسنى . . .) (٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من لم يشهد بدرأً وقد رآه يمشى بين يدي أبى بكر : ((تمشى بين يدي من هو خير منك))
 أقول : وقد قال إمامنا على بن أبى طالب . كرم الله وجهه -

(١) آية ١٨ من سورة الفتح .

(٢) نصيفه : أى نصفه .

(٣) الآية ١٠ من سورة الحديد .

عندما رشحوه للخلافة بعد استشهاد سيدنا عثمان رضى الله عنه : لو تخلف
عنى بدرى واحد لا أقبل الخلافة . فأجمع الأحياء من أهل بدر كلهم على
استخلافه ، وكلمة إمانا على تدلنا على فضل أهل بدر السابقين الأولين .
ويدلنا كذلك على فضلهم قوله تعالى صلى الله عليه وسلم لسيدنا عمر رضى
الله عنه حينما قال فى شأن حاطب بن بلتعة : مرئى يارسول الله أن أضرب
عنق هذا المنافق ، (وكان حاطب رضى الله عنه أرسل كتابا لأهل مكة
يخبرهم بسير المسلمين إليهم عام الفتح ، ليكون له يد عندهم وكان مرجحاً
نصر المسلمين عليهم ، فكشف الله تعالى بوحيه أمر ذلك الكتاب لسيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودله على أنه مرسل مع امرأة فى الطريق
فأدركها إمانا على وأخذ منها الكتاب الذى يكشف سراً عسكرياً خطيراً)
فكان جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم على طلب سيدنا عمر : ((دعه
يا عمر ، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .
وكفى شرفاً لأهل بدر من الصحابة الكرام أن يعينهم الله فى انتصارهم
على كفار مكة بالملائكة الذين قاتلوا معهم أعداءهم ، ويمن الله عليهم
بهذا الشرف فى قوله الكريم فى سورة آل عمران : (ولقد نصركم الله ببدر
وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن
يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن
تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من
الملائكة مسومين * وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به

وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم * ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلوا خائبين (١) .

الصادقون والمفلحون :

وما أروع ما وصف الله تعالى به سادتنا المهاجرين فى قوله الكريم فى سورة الحشر :
(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) (٢) .

وما أروع ما وصف سبحانه به سادتنا الأنصار بقوله الكريم بالآية التالية : (والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (٣) .

صحابى يذكر باسمه :

وقد شرف الله تعالى سيدنا زيد بن حارثة فذكره باسمه فى القرآن الكريم وذلك فى قوله تعالى فى سورة الأحزاب : (. . . فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً) (٤) .

(١) الآيات من ١٢٣ إلى ١٢٧ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٨ من سورة الحشر .

(٣) الآية ٩ من سورة الحشر .

(٤) الآية ٣٧ من سورة الأحزاب .

ولم يذكر باسمه من ساداتنا الصحابة أحد سواه ، وصارت ذكره على السنة القارئ لكتاب الله فى السموات والأرضين ، وتلك بركة عليه من بركات مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد أسر صغيراً وباعوه رقيقاً بمكة لسيدتنا خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها فأهدته إلى زوجها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجاء أبوه وعمه من الشام وأراد أبوه أن يفتديه بشيء من المال وقال لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : جئناك فى فمك ابنا زيد فأحسن إلينا وخفف عنا الفداء . فقال أو خير من ذلك ، قالوا : وما ذاك ؟ قال : نخيرته فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء . فقالوا : لقد زدتنا على النصف - أى عاملتنا بالفضل وجاوزت بفضلك العدل - فلما خير صلى الله عليه وسلم زيدا رضى الله عنه استمسك بأن يبقى فى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له أبوه : ويحك يا زيد اتخار العبودية على الحرية ، فقال : لقد رأيت منه ما يدعونى أن استمسك به . وعندئذ قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا أن زيدا ابنى يرثنى وأرثه * فطابت نفس أبيه ونفس عمه ، وقيل له : زيد بن محمد ، حتى إذا نزل قوله تعالى : (ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله . . .) (١) ، قيل له زيد بن حارثة . وقد كرمه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب له السيدة زينب بنت جحش القرشية وهى ابنة عمته صلى الله عليه وسلم فتأفف أهلها فأنزل الله قوله الكريم : (وما كان

(١) الآية ٥ من سورة الأحزاب .

حبه عن غيره لأنه تعالى يغنى عن غيره ولا يغنى عنه - سبحانه - غيره
 مهما عز ذلك الغير ، وكان شعارهم الخالد (والله خير وأبقى) .

هذا وكتاب الله المجيد لم يقف بنا عند وصف ظواهر الصحابة بل
 تعدى الظواهر إلى البواطن التي لا يعلمها إلا الله تعالى فى مثل قوله
 الكريم : (. . . يريدون وجهه . . .) (١) أو قوله العظيم : (. . . حتى إذا ضاقت عليهم
 الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا
 إليه . . .) (٢) ، أو قوله المبارك : (. . . يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) (٣) ، أو قوله
 الصادق : (.. يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) (٤) ، إلى غير ذلك من الشهادات الربانية
 الرائعة الخالدة التي نطق بها القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل
 من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ولا شك أن فى أوصاف السادة الصحابة وفى قصصهم دروساً غالية
 للمؤمنين فى المشارق والمغارب الذين يقرأون القرآن المجيد عن إيمان به
 وهو المعجزة الكبرى الخالدة ، وهو الكتاب السماوى المحفوظ بعناية
 الله تعالى من التغيير والتبديل . وقد تحدى ويتحدى وسيظل يتحدى
 الإنس والجن مجتمعين على أن يأتوا ولو بسورة من مثله وقد عجزوا فى أوج فصاحة العرب
 ودام ذلك العجز وسيدوم إلى يوم القيامة ، وذلك التحدى

(١) الآية ٢٨ من سورة الكهف .

(٢) الآية ١١٨ من سورة التوبة .

(٣) الآية ١٦ من سورة السجدة .

(٤) الآية ٩ من سورة الزمر .

يدفع به سبحانه أى شك فى كتاب الله عز وجل ويزيد به الذين اهتموا هدى ، والحمد لله الذى هدانا للاسلام وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

الدعاء لساداتنا الصحابة :

وعلينا فى هذا المقام أن ندعوا لساداتنا الصحابة الكرام بالدعاء الذى علمه إيانا سبحانه وتعالى بعد الآيتين السابقتين فى قوله الكريم فى سورة الحشر : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) (١) . وقد قال العلماء : هذه الآية قد استوعبت جميع المؤمنين إلى يوم القيامة .

كلمة ختامية

أيها الأحباب :

إن نبينا الأعظم صلى الله عليه وسلم هو قدوة المؤمنين ، وقد بين لنا صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله وأحواله ما هو الصراط المستقيم الذى نسأل الله تعالى أن يهدينا إليه فى كل فاتحة نقرأها . وألزمنا سبحانه فى آيات كتابه بطاعة مولانا رسول الله واجتناب مخالفته والتأسى به فى مسلكه القويم . فقال تعالى مثلاً فى سورة الحشر (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) (٢) ، وقال تعالى فى سورة النور (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا

(١) آية ١٠ من سورة الحشر .

(٢) آية ٧ من سورة الحشر .

فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) (١)، وقال تعالى فى سورة النور (... فليحذرا الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (٢) . كما أنه تعالى جعله الأسوة الحسنة للمتقين فقال تعالى فى سورة الأحزاب (لقد كان لكم فى رسول أسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) (٣) وقد نال سادتنا الصحابة السبق على سائر المؤمنين بأخذهم المباشر من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرص منهم على الاقتداء الكامل بأقواله وأفعاله وأحواله . فقد سمعوا أقواله الشريفة بآذانهم ووعتها قلوبهم ، ورأوا بأعينهم أفعاله الجميلة فتشبهوا به فيها بكل جهد مستطاع ، وتبينوا أحواله الزكية من خلال أخلاقه الكريمة فتحلوا بها بقدر إمكانهم . وبذلك الاقتداء الكامل أصلحوا ظواهرهم وبواطنهم فأثنى سبحانه عليهم فى ظواهرهم وبواطنهم كما سمعتم . ولا يفوتنا جميعاً أن الإيمان علم وعمل يزيد وينقص ، وليست زيادته ونقص فى جوهره وإنما تأتى الزيادة أو يأتى النقص فى متعلقات الإيمان من العبادات والمعاملات ، والعبادات تربطنا بالله عز وجل ، والمعاملات تربطنا بالمجتمع والله تعالى مطلع على عبادتنا ومعاملاتنا وقد أمرنا

(١) الآية ٥٤ من سورة النور .

(٢) الآية ٦٣ من سورة النور .

(٣) الآية ٢١ من سورة الأحزاب .

بتقواه وبين لنا بصريح اللفظ أن التقوى هي طريق الفلاح لمن أراد أن يفوز بالمطلوب وينجو من المكروه . فقال تعالى فى سورة المائدة : (ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتُمون * قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلمكم تفلحون) (١) وبشر الله تعالى المجاهدين أنفسكم بعونه وذلك فى قوله تعالى فى سورة العنكبوت (والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) (٢) وفى قوله سبحانه فى سورة محمد (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) (٣) وجاء فى الحديث النبوى الشريف فى هذا المعنى: ((من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)) .

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى ، وأعاد الله علينا وعليكم وعلى سائر المسلمين فى المشارق والمغارب العام الهجرى بخير ما تعود الأعوام ، وأشكر لكم حسن استماعكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

حسن كامل المطاوى
وكيل وزارة الخزانة السابق

الثلاثاء ١٧ من محرم ١٣٩٨ هـ
٢٧ من ديسمبر ١٩٧٧ م

(١) الأيتان ٩٩ ، ١٠٠ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٦٩ من سورة العنكبوت .

(٣) الآية ١٧ من سورة محمد .